رمان

الزنابق البيضاء
الجندي في آخر الليل

جفرا
لغاية في نفسها

الافتتاحية: ما قبل العدد صفر

ثقافية فلسطينية تحرير وإخراج فنى: سليم البيك العدد صفر/ يناير ٢٠١٠

www.horria.org

مغنية الروح
أمل مرقس

لـ ميشيل خليفي
الفيلم الروائي الأول

ونسرين فاعور
الممثلة الأولى

romman.saleem@gmail.com

الافتتاحية..

ما قبل العدد صفر

قد لا يكون سهلا بعد «حفلة» لملمة مواد العدد صفر لـ «رمّان» والانتقاء منها، وقبل ذلك الخروج بفكرة وتصوّر للجريدة واختيار اسمها وتصميم اللوغو، وتدبير برنامج تصميم الجريدة نفسها وما لحق ذلك من علقاتي المكفِّرة مع الكمبيوتر وعصيانه الدائم، ثم بعبصتي الملحّة في برنامج التصميم هذا إلى أن وصلت إلى الحد المعرفي الأدنى لإخراج جريدة، ثم- وهنا المحك والتحدي الماركسي الأهم- إمكانية تطبيق الفكرة، وتحويل التصوّر والرؤية والنظرية إلى شيء واقع، ونقل الإخراج الفني للجريدة من هذا الرأس «اللي ناتعه» إلى البرنامج ومنه إلى الـ PDF ومنه إلى العدد صفر.

بعد كل هذا العناء الفردي- حتى الآن- آجي أكتب افتتاحية هالعدد؟

لكني مضطر.

أشعر الآن (حينئذن) أني مرغم على الكتابة وهو ما لم أتعوده، لأن الكتابة «كيف» ومزاج ومتعة، ولكني على كل حال مضطر أن أحكي عن فكرة الجريدة، سأحاول وباختصار، وعلى كذا عدد.

سأحكي لاحقا عن لماذا جريدة PDF ولماذا اسم رمّان وعدة لماذات أخرى ستفقس مع صدور هذا العدد، أما عن فكرة «رمّان»..

فهي أن تكون هنالك جريدة ثقافية فلسطينية تعنى بكل ما يتعلّق بالأدب والفن والفكر ومجمل الثقافة الفلسطينية، بثمانية وأربعينها وسبعة وستينها ومخيماتها وشتاتها وكل مشحّريها.

ستركّز على مواد منشورة في الصحف والمواقع، ستكون هذه البداية وربما لاحقا ستصبح لها موادها الخاصة أيضا، وكذلك كتّابها الدائمون.

لكن الفكرة أساسا أتت من أن تجتمع المواد المتعلقة بثقافتنا الفلسطينية في جريدة واحدة، رغم حالة الشتات بكل أوجهه.

مش راح «أحكي كتير» إنّما بس.. التشتت في واقع الوجود الفلسطيني انعكس على حركته الثقافية فتشتتت والتعن أبو فاطسها وبنسب معيّنة، ربما كان هذا ما يميزها، وربما هي الثقافة الوحيدة في العالم التي قد تنطلق من أي مكان في هذا العالم بما في ذلك فلسطين نفسها..

وكان هذا حافزا أساسيا لفكرة «رمّان».

لدي الكثير لأقوله، فلأتركه لافتتاحيات قصيرة قادمة.

أخيرا أشير إلى أن «رمّان» قد تتغير في الشكل أو/و المضمون في فترتها الأولى إلى أن تصل إلى تصالح مع ذاتها أو نضوج ما قد تستقر عليه، ستخطئ كثيرا وستحاول أن تتعلم من أخطائها، وستحاول أن تحكي شيئا في هذا الضجيج.

مغنية الروح: أمل مرقس

ابتسام انطون

مغنية الروح، لقب ألبسته دبي لملصقاتها استقبالا للفنانة القديرة أمل مرقس، التي حلت ضيفة لمهرجان السينما الدولي - دبي، في فيلم <حاجز الصخرة - موسيقى تضرب الجدران> للمخرج والمغني من الباسك - اسبانيا (فيرمين موغروزا).

وفي حفل حي ومباشرة بعد عرض الفيلم، امتلأت صالة مسرح مدينة الاربنا في دبي، وما يقارب الألف شخص أتوا لسماع صوتها الأخاذ، وقد منحت الجمهور فرصة التعرف على صيغة أخرى من الفن، بالغة وبليغة المضمون كلمة ولحن، صوت واداء تعبيري.

وصلتني أخبارها قبل وصولها البلاد، وبسبب فضولي لمعرفة المزيد،تواصلت مع صحافيين عرب وكتاب وفنانين الذين حالفهم الحظ معايشة حفلها.

وبعض ما قيل عنها: أمل مرقس جليلة الحضور وصوتها يرافق الروح تحرر المتلقي من أسر ذاته، هي الحالة الإنسانية المتضامنة مع جمهورها بكل حالاته، بصدق وعفوية تشاركه دمعه وترسم ملمح الفكاهة لعفوية دون تخطيط.

وهل نكتفي بإرسال التهاني والورود إستقبالا لجلالة صوت يبعث روحنا أينما حضرت، أمل مرقس فنانة قديرة، وجاهة ومبدئية، تطرح حالاتنا بمزاجنا ومزيجنا من الفرح.. الألم.. من الأرض الى أفق الحلم الخارق سقف القولبة والمتحرر من الحالة الموسيقية الواحدة و بجاهزية واثقة ودائمة التجدد.

من دبي تعود القديرة أمل مرقس لتزف لنا أخبار الشتات الفلسطيني بدمعه وفرحه بضمة ذراعيه وغصة فراقه، حضورها الحائم بغبطة كالحلم وخفة ظل على المسرح ترك أثر كبير هناك.

فوجئت أمل بأصداء صوتها في دبي رغم حلولها لأول مرة هناك،ودليل ذلك مشاركة الجمهور لها الغناء بلهفة.

بدأت حفلها وكأنها تطيب خاطر الفلسطيني من شتاته بأغنية <بهللك> وزاد طيب صوتها بأغنية <على مهلي> بمرافقة كمان الملحن نسيم دكور وأيقاعات الياس حبيب وبعدها أعتمدت على نقل حالات من الماضي بأغنيات <قطعن النصراويات>، <الأوف مشعل> و<حجار فوق حجار>، ومن ثم درويشيات <نحن في حل من التذكار،جرحي المكابر، وإحدى أغانيها الجديدة <للحياة غنائي> والتي هي مزيج لأغنية مارسيدس سوسا الارجنتينية غراسياس الافيدا - <شكرا للحياة> وقصيدة محمود درويش> على هذه الأرض ما يستحق الحياة>،وقد تقاسمت الحفل مع الموسيقيين تريو جبران وبشار خليفة وعضو فرقة <الراب دام> سهيل نفار وصفاء حتحوت.

> ومن ثم درويشيات <نحن في حل من التذكار،جرحي المكابر>، وإحدى أغانيها الجديدة <للحياة غنائي> والتي هي مزيج لأغنية مارسيدس سوسا الارجنتينية غراسياس الافيدا <شكرا للحياة> وقصيدة محمود درويش <على هذه الأرض ما يستحق الحياة>

والمغني فيرمين موغروزا المشاركين في فيلم حاجز الصخرة العالمي وسط تفاعل كبير من الجمهور.

وكانت امل وفرقتها قد أحييت مؤخرا مجموعة امسيات رائعة في البلاد في عرابة بدعوة من جمعية الفنون والثقافة في حفل غنائي سمي <أول المطر> وفي احتفالية ٩٠ عاما للحزب الشيوعي - حيفا وقدمت بالتعاون مع رابعة مرقس وفرقتها للرقص عرض <الاطفال كالورود> في مهرجان الطفل في مركز محمود درويش -الناصرة، وفي ٢٧،١٢،٠٩ ستقدم حفلا في عسفيا.

وستختتم العام ٢٠٠٩ بمشاركة خاصة كضيفة شرف للعرض الفني

التشـكيلي والراقص المميز ‹السـيرة والمسـيرة› لفرقة رماز للرقص التعبيري بقيادة وتصميم الفنانة رابعة مرقس وذلك في ٢٨,١٢,٢٠٠٩ في مسرح الميدان. حيث يتضمن العرض رقصا تعبيريا للوحات فنية من مشـروع جداريات ‹السـيرة والمسـيرة› للفنانين تمام وأسماعيل شموط. وخلفية الرقص صوت وحضور الفنانة أمل مرقس بمجموعة من أغانيها المعبرة والتي أختارها الفنانان شموط سابقا كمرافقة لجدارياتهما في فيلم ‹السيرة والمسيرة› من اخراج بلال شموط وعرض في انحاء البلاد عام ٢٠٠٨›.

تسعى الفنانة أمل مرقس في الوقت الحالي لتجهيز كونسيرت يحمل خيراتها الأبداعية المشوقة الجديدة. ما يعادل ١٢ أغنية. والتي ستبعثها للنور في ألبومها الرابع في الربيع القادم.

رماز للرقص الحديث تعرض المسيرة الفلسطينية من تصميم رابعة مرقس روبي

سليمان حلبي

على خشـبة مسـرح الميدان في حيفا وبحضـور جمهـور غفيـر قدمـت فرقة رمـاز للرقص الحديـث والمعاصر عرض السـيرة والمسـيرة الفلسـطينية من تصميـم الفنانـة رابعة مرقـس روبي وهو العرض الراقص من وحي جداريات السـيرة والمسـيرة للفنانين اسماعيل شموط وتمام الاكحـل. فرقة رماز تعتبر اول فرقة محلية تحكـي لغة الرقص العالميـة مهنيا وطلاب الفرقـة من طالبات وطـلاب الفنانة رابعة مرقس والتـي بدورهـا واكبت دراسـاتهم الحركية وتطورهم الحركي.

هذا العمل يأتي ليساهم في إظهار الصورة الحية والجميلة لبلد غطى غشاء الاحتلال والقهر معالم وجهه الجميل وملامح شعبه الطيب

خـلال العرض ظهر واضحا تصميم لوحات

العرض الراقص من وحي جداريات السيرة والمسيرة للفنانين اسماعيل شموط وتمام الاكحل

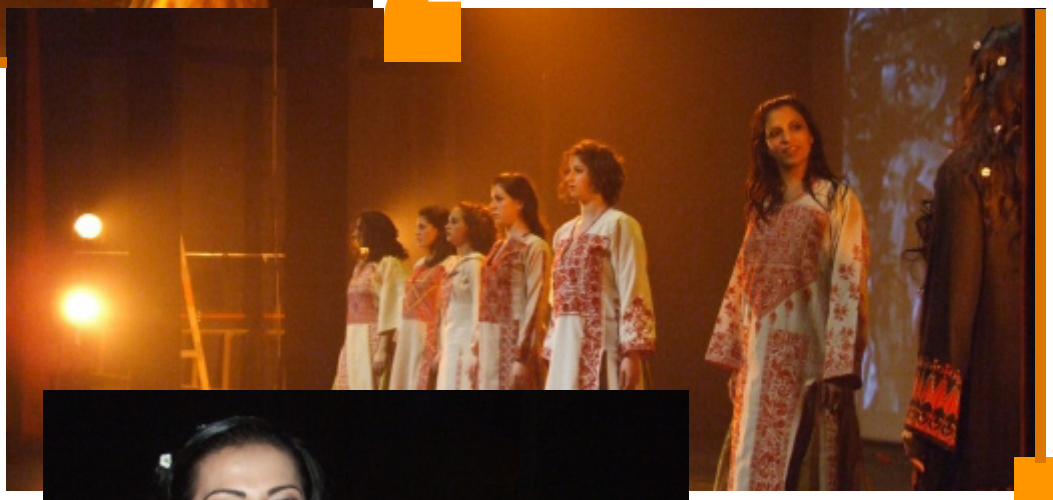

الرقـص بوحي من تجـارب حياتية مختلفة . الذكريـات. الحيـاة اليوميـة. التاريخيـة. وخصوصيـة حيـاة الفلسـطينيين فـي الداخل .

هــذا العمـل يأتـي ليسـاهم فـي إظهار الصـورة الحية والجميلة لبلد غطى غشـاء الاحتـلال والقهـر معالـم وجهـه الجميل وملامـح شـعبه الطيـب. ان فكـرة هـذا المشـروع الفنـي تأتـي كامتـداد طبيعي للجـذور ولحمل السـيرة والمسـيرة لتظهر امام عيون وعقول الناس لتعرض ما تتعرض له المسيرة الفلسـطينية . فكـرة المشروع جاءت لتعرض اللوحـات التي اجتمعت مع الرقص فعرضت عبرها مسـيرة الشـعب الفلسـطيني وسـيرته الجماعية بما فيها من تحولات وحالات وجودية وجاءت لتجسد الحقيقـة المعلقـة على الجداريـات وهي ان الفلسطيني يحب الحياة وهي تروي حكايته بلغة فنية عبر الجسد والروح.

اللوحـات تكلمـت عن من لا يسـتطيعون العودة إلـى بلادهم ،عن اقتلاع اسـماعيل شـموط وتمام الأكحـل من اللـد ومن يافا وهي رحله عاشها بشكل او بأخر كل واحد من أبناء الشـعب الفلسـطيني . هذه هي لوحات الجداريـات ذات المسـاحات الكبيرة والتـي تم عرضهـا في السـيرة والمسـيرة. الجدير ذكره ان الفنانة امل مرقس شاركت في حضورها صوتها وأغانيها فرقة رماز في العمل الفنـي «السيرة والمسيرة» فأضافت جمالا ورونقا لهذا العمل . وصرحت الفنانة رابعة مرقس روبي المخرجة والمصممة لعرض السيرة والمسـيرة لموقع العرب ان هذا العمل المميز أنجزته فرقة رمـاز بصورة رائعة فهم طلابي وسأستمر بالعمل معهم'. وأضافت ان السـيرة والمسـيرة تقدم على أسـس البالية الكلاسـيكي والمعاصر ومن هناك انطلقنا نحو قصة إسماعيل شموط وتمام الأكحل حيث تم سرد مسيرتهم من خلال الجداريات

عن موقع العرب

رزان خوري من فرقة ترشيحا إلى النجومية مرورا بالتربية الموسيقية العلاجية

محاسن ناصر

تعتبر رزان خوري ابنة قرية ترشيحا من الفنانات الموهوبات ذات القدرات الكبيرة في عالم الموسيقى وكل ذلك بفضل حبها للموسيقى وعزمها على تحقيق الأفضل بالذي ترغبه. رزان خوري ابنة الـ٢٧ ربيعا ولدت لعائلة موسيقية فوالدها كان المدير الفني لفرقة ترشيحا وكان المدير الفني لها أيضا عدة سنوات ومنذ صغرها انضمت رزان لفرقة ترشيحا وبدأت تشق طريقها في عالم الموسيقى حتى وصلت إلى ما وصلت أليه هذه الأيام بالعمل الفردوي حيث شقت طريقها لوحدها بعد ان تركت الفرقة بحكم تعليمها إذ كان بديها ان تتعلم الموسيقى حيث أنهت تعليمها بحصولها على ألقب الثاني ألأكاديمي الماجستير في العلاج بالموسيقى .

الجمهور تعرف على رزان خوري من خلال مشاركتها بالعرفزيون عام ٢٠٠٥ حيث حازت على المرتبة الأولى متفوقة على كل المشاركين والمشاركات بفضل صوتها العذب الرائع. حيث ان فوزها بهذا اللقب فتح أمامها أبواب كثيرة إذ قطفت رزان المرتبة الثاني في مهرجان الدار البيضاء في المغرب الذي يعتبر من المهرجانات الرائدة في العالم العربي وبعد فوزها شاركت به كضيفة شرف أيضا.

وكان لرزان ظهور أيضا في دار الاوبرا مع فرقة ترشيحا حيث نالت إعجاب الحضور هناك. ورزان شاركت أيضا بالعديد من المؤتمرات للتربية الموسيقية منها في مؤتمر ا.ز.ن.ي (i.s.n.e) الذي أقيم في ايطاليا الذي يعتبر اكبر مؤتمر للتربية الموسيقية والعلاج عن طريق الموسيقى , حيث يقدم إليه كبار الموسيقارين في العالم حيث يتباحثون به أهم وأخر التجديدات في علم التربية الموسيقية والعلاج عن طريق الموسيقى حيث قدمت رزان به ورشة عمل لها وحازت على إطراء واهتمام الكثير من المشاركين بهذا المؤتمر. هذا المؤتمر كان احد المحطات الهامة في

> تعزف على آلة التشيلو وقدمت ورشة عمل عن التطوير الموسيقى الشرقية الآلية في أهم المؤتمرات العالمية للتربية الموسيقية والعلاج عن طريق الموسيقى

حياة رزان الموسيقية حيث فتح أمامها آفاق كبيرة بعد ان حازت على شهادة تقدير من إدارة المؤتمر. ومن خلال ورشتها التي قدمتها عرفت بها العالم على الموسيقى الشرقية الآلية لتثبت ان الموسيقى الشرقية الآلية يوجد ما يفتخر بها وعلى كيفية التعرف على الطرق والوسائل لتعليمها للأطفال عن طريق طرق موسيقية مختلفة .

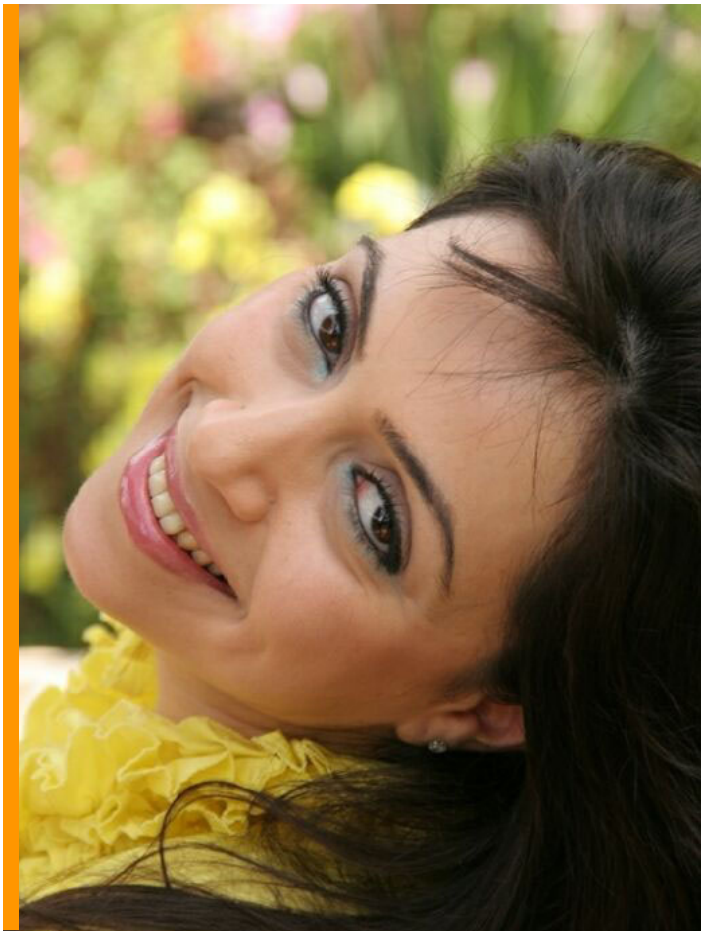

عازفة على آلة التشيلو

ورزان عازفة على آلة «التشيلو» ومن وجهة نظرها فان الجمهور العربي يفتقر إلى الموسيقى الآلية فالجمهور يحب ان يستمع

> رزان تقف على رأس مشروع مناهج التربية التعليمية لموضوع الموسيقى للصفوف الأوائل حتى الرابع ابتدائي في حوالي ١٢٠٠ مدرسة من مدارس الضفة الغربية ومدارس القدس العربية

للاغاني وهو يفتقر إلى الاستماع إلى اللات الموسيقية.

كما شاركت رزان في عروضات مدرسية في النرويج حيث كانت مشاركتها من قبل فرقة «صابرين» الفلسطينية هذه العرض حملت اسم «بدايات» وهي بمشاركة فلسطينية نرويجية مشتركة. وقبل فترة قصيرة عادت رزان من المغرب هناك شاركت في عرض لسعيد مراد وعزفت هناك على آلة «التشيلو»بالإضافة لذلك تشارك سنويا في دورات مكثفة وخاصة في لندن لأحد مؤسسي التربية الموسيقية العالمية. كما وشاركت رزان في عدة مهرجانات عالمية في أميركا ,في تونس مهرجان قرطاج ومثلت البلاد في مهرجانات موسيقية عالمية.

ورزان تعتز بالموسيقى المحلية كثيرا وهي تثني على الفنانين والفنانات المحليين والمحليات فرزان ليست تغني وتعزف فقط إنما تحضر كمستمعة للكونسيرتات والمهرجانات المحلية واثنت رزان بشكل استثنائي على كونسيرت كميليا جبران والتي حسب رأيها هي ظاهرة فريدة من نوعها لن تأخذ حقها بالشكل المطلوب من الجمهور المحلي. فالظروف التي يمر بها الفنان المحلي صعبة جدا ولا وقوف عائلتي ورائي ودعمها لي لما وصلت إلى ما وصلت إليه اليوم.

والحق يقال ان الصحافة المحلية بدأت تعطي الفنانين المحليين حقهم بالظهور من خلال التقارير والمقابلات التي تجروها معهم. لكن في التلفزيون لم نأخذ حقنا بالشكل المطلوب.

واليوم ونحن على عتبة عيد الميلاد بدأت رزان

تتهيأ لكونسيرت خاص لها بمشاركة الفنانة ليزا اندراوس صاحبة مدرسة للرقص وهو عبارة عن كونسيرت غنائي وتعبيري راقص. وكانت رزان قد قدمت كونسيرت رائع حمل اسم « كان يا مكان » وهو عبارة عن أغاني قديمة تم تجديدها حسب الموسيقى الحديثة وتم عرضه مرتين فقط في قاعة الكابري وفي مهرجان بيت ساحور من خلال مهرجان القدس عاصمة الثقافة العربية.

ورزان متفائلة من مشاركة الوسط العربي للمهرجانات الغنائية والكونسيرتات الغنائية «المشاركة أخذة بالازدياد ويوجد اليوم نسبة كبيرة جدا من متذوقي الموسيقى المحلية لكن هناك الحاجة إلى الأكثر, وما ينقصنا اليوم هو «رعاه » وجمعيات ترعى الفنان العربي وتدعمه فنحن نتعب كثيرا في مجال الموسيقى من تدريبات وظهور وسفريات محليا وعالميا وكل هذا فقط بدعم من الأهل ومساعدتهم فقط .

وحتى اليوم آم تصدر رزان أي البوم لها وسوف تعمل قريبا على تسجيل بعض أغنياتها من عرض «كان يا مكان» وسوف تظهر رزان في عدة عروض خلال الشهر القريب وخلال أعياد عيد الميلاد .

الجدير ذكره بأن نجاح الفنانة رزان خوري في تطوير ذاتها وبلورة مسيرتها الفنية آتي من خلفيات موسيقية فذة جذورها مثنية من أسرتها ونجاحها أعتمد على إدارة فنية واعية فشقيقها عازف الكمان جريس خوري هو مديرها الفني ورزان لن تنسى شكره واعتزازها به بمن يقف خلفها في كل خطة تخطوها.

ولن تنسى رزان أيضا ان تشكر فرقة صابرين المقدسية التي وقفت إلى جانبها وأعطتها الفرصة للظهور في العديد من المهرجانات والمؤتمرات الموسيقية .

ولن تنسى رزان من أين جاءت فشكرها أيضا لفرقة ترشيحا الموسيقية التي كانت بداية انطلاقتها الموسيقية

وحاليا تعمل رزان في مؤسسة « صابرين» للتطوير الفني على مشروع التربية لموسيقية فهي تبني مناهج تعليمية لموضوع الموسيقى للصفوف الأوائل حتى الرابع ابتدائي وهو منهاج يدرس ويتبع في حوالي ١٢٠٠ مدرسة من مدارس الضفة الغربية ومدارس القدس العربية .[١]

عن موقع العرب

جديد الفنان الفلسطيني مروان عبادو <نرد>: استنطاق العود وتناغم بين الآلات

زهرة مرعي

نَرْد.جديد موسيقي لمروان عبادو. من مكان الشتات الآخر الذي قصده الفنان الفلسطيني إختيارياً منذ سنة ١٩٨٥ وهو فيينا يواصل تجهيز وإعداد أفكاره الموسيقية والشعرية ورفدنا بها تباعاً إلى بيروت. وهو بين زمن وآخر يواعد جمهوره البيروتي على اللقاء فيحيي عدداً من الحفلات مباعداً بينها بما يتيح للشوق أن يتكون، وللجديد أن يتبلور. وغالباً يؤثر عبادو أن يُطل بجديده من بيروت التي ولد فيها كونها المنفى الأقرب الذي اختاره الأهل عندما غادروا قرية كفر برعم على الحدود اللبنانية الفلسطينية ليصبحوا منذ سنة ١٩٤٨ لاجئين.

حريص مروان عبادو في كل جديد يقدمه على مقاربة يعقدها بين الكلمة والموسيقى، فيوائم بينهما ما يشبه حسن الجوار والعشرة. فالمقطوعات الموسيقية تساوت مع الأغنيات وبلغت جميعها العشر. جمعت بينها روح الكاتب والمؤلف الموسيقي والتي يعبر عنها غالباً بنقرات عود باتت علامة خاصة. علاقة عبادو مع أوتار عوده يخرج منها ذلك الحنين الأثر، كما تعبر عن إنسان مسكون بحب عتيق مهما قال عنه فهو غير قادر على البوح بكل مكنونات الروح. ربما هي مشاعر الشتات وذلك الشوق الكامن والمتنامي في الداخل لوطن قريب جداً وبعيد المنال.

في <نرد> تعاون مروان عبادو على كتابة كلمات الأغنيات مع سلمان مصالحة من القدس وطارق الطيب من فينا، وتولى بنفسه كتابة أغنيتين هما <كل يوم> و<يا رايحين>. وفي الأغنيات جميعها باستثناء <يا رايحين> تسيطر نبرة عبادو الحزينة، وبخاصة في أغنية <يا صاحب الدن>.

ومن ثم ينتقل إلى أغنية <في الشارع> ممدداً عمر هذا الحزن السابق والقديم، مضيفاً إليه بعضاً من الإيقاعات السريعة. وهنا لا تتساوى نبرة الصوت الحزينة مع بعض التوزيعات الموسيقية التي تفرح الأذن. <في الشارع> يحرص عبادو على ممارسة رغبة متوقدة عنده بالغناء من دون الموسيقى، كما يحرص على تنويعات لحنية من أوتار صوته هي عبارة عن شجن. وهذه الأغنية

كتبها طارق الطيب.

مع أغنية <لفظ> وهي الثانية بعد <يا صاحب الدن> من كلمات سلمان مصالحة نسمع غناءً تعبيرياً، ونسقاً موسيقياً جديداً وجذاباً. في <كل يوم> نسمع أغنية واقعية عن حياة الانسان الفلسطيني تحت الإحتلال، ومن بعيد يعبر عبادو وكأنه موجود داخل المكان والزمان الذي يعيشه الأهل في الوطن الممنوع.<حابب يجينا يوم خالي من البطولي.. لا جريح ولا شهيد.. وها اليوم الطبيعي من الطبيعي يكون عيد في بلد إسما فلسطين>.

بهذه البساطة يعبر عبادو عن أفكاره بالكلمة.

وعندما نقرأ على غلاف السي دي عنوان أغنية <يا رايحين> نظن بأننا سنسمع من عبادو نوعاً من الحداء، لكنه يفاجئنا بموسيقى فرحة وجذلة وفيها حنين معبَر عنه بالكلمة وشكل الأداء. وفي هذه الأغنية كلاماً وموسيقى وآداءً بصمة لعبادو معروفة وواضحة.

بالعودة الى المقطوعات الموسيقية الخمس التي ضمها عبادو لسي دي <نرد>، فهو في مقطوعة <هزة> يعطي أولوية في الأنغام الصافية الواصلة إلينا للكمان الذي يتجلى بحلة بهية، ومن ثم يواكبه بأوتار العود.

وهنا نقرأ في تجربة عبادو منذ تعرفنا إليها وهي محاولاته الدائمة في إستنطاق العود بأسلوبه الخاص جداً.

وفي <نرد> نتلقى تناغماً لطيفاً بين أصوات

الطبلة، العود والكمان. وترابط جميل بين الأنغام التي تمنح المتلقي إحساساً بالإنتعاش والحب مع تلك المقطوعة. كذلك تتميز <رقصة فرح> بحيويتها ومن ثم تعبيرها المتهادي الأليف. وهي مقطوعة تختم برقصة فرح حقيقية. <سيرتو سيري> عنوان لموسيقى فيها أناقة الحكاية المشوقة. وفي <ريشتان> يعطي عبادو مجالاً مفتوحا لأوتار عوده مع كثير من التجليات التي يعشقها.

عبادو فنان له جمهور في بيروت وكثير من الأمكنة الأخرى، وهو إستطاع أن يؤسس لذاته مكانة في أوروبا حيث قدم موسيقاه وأفكاره، وعبر عن ذاته كفلسطيني يعيش قضيته، ويعيش الشتات.

<نَرْد> جديد عبادو بعد <دوائر>، <إبن الجنوب>، <راينسبوتينغ> و<قبيلة>. وهي جميعها تجارب تتراكم لتؤكد حضور صاحبها كمعبر عن شعب وقضية بأسلوب يتطور ويكبر في حضوره. وفي تنفيذه لأعماله الموسيقية هذه يلتقي عبادو مع موسيقيين من الغرب هم جوانا لويس البارعة على الكمان، وبيتر روزمانيث أيقاعات ـ وهو رفيق عتيق لعبادو ـ وكذلك غيورغ غراف على الكلارينيت والساكسوفون، وميكي ليبرمان على الغيتار.[١]

عن القدس العربي

السينما الفلسطينية الأكثر حيوية وحراكا بين السينمات العربية في مهرجان دبي

على هذه الارض ما يستحق الحياة، هو العنوان الذي اختاره مهرجان دبي السينمائي الدولي في دورته السادسة للمشاركة الفلسطينية التي تعتبر الاكثر انتاجية وبالتالي الاكثر حضورا في السينما العربية.

وينم هذا الحراك الفلسطيني عن طاقات متنامية لدى عدد من الشباب فضلا عن مخرجين مخضرمين يطورون باستمرار ادواتهم الفنية وادوارهم للتعامل مع واقع يغضب ويقسو ويدفع للابداع الذي يصبح وسيلة للوجود والتعبير عن الذات.

واستوحى منظمو مهرجان دبي العنوان من قصيدة شهيرة لمحمود درويش الذي يخيم ظل فقدانه على اكثر من عمل في المهرجان. كما أشاروا الى ان <اختيار القدس عاصمة للثقافة العربية، كان لا بد ان يكون مناسبة لتسليط الضوء على مجموعة متألقة من المبدعين الفلسطينيين. ليس لغايات سياسية، وإنما لكشف ثراء ثقافي بصري فلسطيني على الرغم من الاوضاع الصعبة>.

وبين الاعمال الفلسطينية قدم نصري حجاج عمله الثاني الوثائقي <كما قال الشاعر> الذي حاول فيه تصوير الشاعر الغائب في حضرة صوته. وحاز حجاج قبل عامين جائزة في دبي عن فيلمه الاول <في ظل الغياب>.

يمتد صوت درويش ملقيا لقصائده على مساحة الفيلم الذي يقرأ خلاله كتاب كبار عرفوه مقاطع من شعره بلغاتهم مثل الروائي الجنوب افريقي ويل سوينكا والاسباني جوزيه ساراماغو الكاتب الاسباني والشاعر الكردي شيركو بيكس واللبنانية جومانا حداد والفرنسي دومينيك دي فيلبان الذي عرف درويش في مرحلة اقامته في باريس.

وحضر دي فيلبان العرض الاول للفيلم مصحوبا بزوجته، ومشددا على وجوده بصفته شاعرا صديقا لدرويش وليس سياسيا.

وصور الفيلم رؤية حجاج لشعر درويش دون ان يستغل صور الارشيف ومستعينا بصوت الشاعر وحده ما فرض على المخرج تحديا كبيرا اعتمد فيه تركيبات صورية من وحي شعر درويش واستعان بكثير من الموسيقى مع كل من المغنية الفلسطينية امل مرقص واللبنانية هبة القواس وغيرهن.

ويعتبر المقطع الذي قدم فيه الفيلم شابا ابكم قصيدة ايمائية لدرويش من أقوى وأهم اجزاء الفيلم الذي يظل مفتقدا لصورة الشاعر الذي لا يغيب ويتمسك بظله اكثر من فيلم في المهرجان.

هكذا هي الحال في فيلم اللبناني طلال خوري القصير <9 آب> الذي هو عبارة عن شريط تصويري لقصيدة <واجب شخصي> للشاعر الكبير مع شاب يتذكر درويش ويعبر عن مرارة الرحيل على المستوى العام والخاص.

أما شريط <حاجز الصخرة: موسيقى تضرب الجدران> الوثائقي للمخرج فيرمن موغوروزا والذي يعرض مساء السبت في المسرح المفتوح بمدينة دبي للاعلام ضمن برنامج <إيقاعات وأفلام> فيصور رحلة الى فلسطين يصحب خلالها الفيلم مشاهده الى الاعمال الموسيقية لمجموعة من اشهر المغنين الشباب الفلسطينيين والذين تاثروا جميعا بدرويش واشعاره.

وبين هؤلاء الاخوة جبران ومغنية الراب صفاء حتحوت من فرقة <عربيات> ومثنى شعبان من فرقة <دام> وامل

مرقص وحبيب الديك وآخرون. وسيتمكن مشاهدو الفيلم من الاستمتاع بحفل موسيقي مجاني لعدد من الفنانين الفلسطينيين المشاركين في الفيلم.

ومثلما تهيمن صورة درويش الذي تحول الى ايقونة ورمز وطني على عدد من الاعمال تهيمن صورة غزة الجريحة على اعمال اخرى يتصدرها شريط <اطلاق النار على فيل> من اخراج البرتو آرسي الايطالي ومحمد رجيلة وهو يوثق بواقعية كبيرة لويلات الحرب في غزة ناقلا مشاهد مروعة للمكان في عمل يعتبر ثمرة مرافقة فرق الاسعاف والطوارئ والصحافيين اثناء عملهم خلال حرب غزة.

ويقدم الفرنسي من اصل مصري والذي دخل غزة فور انتهاء الحرب صورة اخرى لغزة المستيقظة من الموت في شريط <غزة مباشر> فيما ينقل <الرصاص المصبوب> للايطالي ستيفانو سافونا والذي يقدم ضمن <الليالي العربية> بجرأة قساوة اليومي الفلسطيني في غزة خلال الايام القاتلة في مشاهد صادمة.

لكن الاعمال الفلسطينية او التي تتناول فلسطين في دبي لا تقتصر على هذين الموضوعين فقد قدم رائد انضوني الجمعة فيلم <صداع> عارضا رؤية تحليلية مبتكرة ونفاذة تتناول الذات من خلال جلسات تحليل نفسية على مدى عشرين اسبوعا للمخرج الذي يعاني من الصداع.

دائما في الوثائقي الطاغي يقدم فيلم <العودة الى الذات> للمخرج بلال يوسف ويتناول قصة فلسطيني درزي يدفع قسرا للالتحاق بالجيش الاسرائيلي.

واختار مهرجان دبي لافتتاح تظاهرة <الجسر الثقافي> مساء السبت فيلم <بدرس> وهو اسم قرية فلسطينية في الضفة الغربية تهدد اسرائيل وجودها ويتمحور حول حياة اسرة وتظاهرة ضد الجدار.

والفيلم وثائقي للمخرجة البرازيلية المقيمة في نيويورك جوليا باشا سبق وأخرجت <نقطة تلاقي> الذي فاز بمهرجان تريبيكا عام ٢٠٠٦.

المخرج والممثل محمد بكري الذي يؤدي احد الادوار في فيلم ميشال خليفي يقدم بدوره شريطه الوثائقي الثالث: <زهرة> الذي يتناول حياة امرأة من الجليل وعبرها فلسطين قبل العام ١٩٤٨. كما يشارك في لجنة تحكيم <المهر الاسيوي الافريقي> التي يشارك فيها من فلسطين ايضا عمر القطان منتج فيلم <زنديق>.

و<زنديق> يشارك عبره المخرج المخضرم ميشال خليفي ضمن المسابقة الرسمية للمهرجان ناقلا دراما مكثفة تدور احداثها بين الناصرة ورام الله خلال ٢٤ ساعة.

ودخل فيلم <امريكا> لشيرين دعيبس والذي ينقل حياة عائلة فلسطينية مهاجرة مسابقة <المهر للافلام العربية> بعد ان سبق له الفوز بجائزة النقاد الدوليين في مهرجان كان السينمائي عن مشاركته في تظاهرة <خمسة عشر يوما للمخرجين> وبجائزة افضل فيلم عربي وجائزة السيناريو في مهرجان القاهرة السينمائي الاخير.

وبين الفلسطينيين الحاضرين بكثافة في مهرجان دبي رشيد مشهراوي الذي يقدم فيلمه الوثائقي <الاجنحة الصغيرة> عن اطفال بغداد رابطا بينهم وبين اطفال فلسطين في احلامهم وخبراتهم.

وفي حين تشارك الممثلة هيام عباس تمثيلا في فيلم اللبنانية ديما الحر <كل يوم عيد> ضمن مسابقة المهر العربي.

انتج مشهراوي العمل الروائي الاول للبناني ديغول عيد الذي يعرض ضمن هذه المسابقة ايضا.

وشهدت فعاليات المهرجان بعد ظهر الجمعة ندوة حملت عنوان: <ضد التيار: دراسة عن صناعة الافلام في فلسطين> وشارك فيها كل من ميشيل خليفي ورشيد مشهراوي ومي مصري ورائد انضوني.

مسابقة المهر العربي للأفلام القصيرة: الجائزة الأولى
بسام علي الجرباوي عن فيلم رؤوس دجاج
فلسطين

مسابقة المهر العربي للأفلام الوثائقية: الجائزة الثانية
بلال يوسف عن فيلم العودة إلى الذات
قطر، فلسطين

مسابقة المهر العربي للأفلام الروائية:
أفضل فيلم
ميننيل خليفي عن فيلم زنديق
فلسطين، المملكة المتحدة، الإمارات العربية المتحدة

أفضل ممثلة
نسرين فاعور عن فيلم أمريكا
فلسطين، الولايات المتحدة، كندا، الكويت

أفضل موسيقا
الثلاثي جبران عن فيلم وداعاً غاري
فرنسا

عن القدس العربي

ميشال خليفي: أفلامي فتحت الباب للسينما الفلسطينية الجديدة

فيكي حبيب

لتحرر هو عودة الإنسان دوماً إلى إنسانيته، بل الى بنى اكثر إنسانية... تكاد هذه العبارة التي قالها كارل ماركس يوماً ان تختصر مسار فيلم «زنديق» للمخرج الفلسطيني ميشال خليفي. أو هكذا يحلو للمخرج ان يقول. فبطله السيد «ميم» العائد الى الناصرة في فلسطين المحتلة ضمن اراضي ١٩٤٨، بعد غربة ليستعيد نكبة ذلك العام من خلال تصوير فيلم وثائقي عن هذا الحدث الجلل، مكبّل بقيود يصعب عليه التحرر منها من دون ان يمرّ بدرب الجلجلة التي تعيده الى بيته الأول الذي استحال خراباً... بالتالي عودته الى إنسانيته بعدما أضحت الحداثة بالنسبة إليه مرادفاً للمنفى. لكنّ هذا لا يحدث بسهولة، خصوصاً ان المدينة المتحدر منها والتي يعود اليها الآن، أي الناصرة، ترتدي طابعاً «أسطورياً» عبر التاريخ. فلا يعود غريباً ان يختلط الواقع بالخيال، الذاتي بالعام، الراهن بالماضي، والوثائقي بالروائي...

إنها جدلية يسير عليها الفيلم طوال زمن عرضه، وكأن خليفي يريد منها إعادة ترتيب ذاكرة أرهقته طوال سنوات غربته: ذاكرته الشخصية، ولكن أيضاً ذاكرة مدينة، لا بل ذاكرة وطن.

إخفاق

من هنا، لم تكن صدفة أن يجعل ميشال خليفي شخصيته الرئيسة (أدى الدور محمد بكري) مخرجاً متغرباً مثله... ولم يكن غريباً ان يجعل اسمه «ميم»، أي الحرف الأول من اسم ميشال... أو أن يجعله ينتمي الى بيت مسيحي تماماً كما انتمائه... تشابه يقود الى السؤال حول ما إذا كان «ميم» ميشال خليفي نفسه؟ وهل يمكن القول إن هذا الفيلم ليس إلا جزءاً من سيرة صاحب «عرس الجليل»؟

«أبداً. قد يكون «ميم» توأمي، لكنه ليس أنا»، يجيب خليفي «الحياة» أثناء مشاركته في «مهرجان دبي السينمائي» حيث نال جائزة المهر العربي. ويضيف: «ولد الفيلم من فكرة التغرب التي أعيشها في بعض الأحيان. إذ تركت طفولتي في الناصرة، وهاجرت الى أوروبا. وفي كل مرة أعود، أسأل كيف طارت الحياة؟ وأين الناس؟ ولماذا حدث ما حدث؟»... أسئلة قادت خليفة الى التفكير في الزمان والمكان، وكيف ان الأمور الحميمة التي كانت جزءاً أساسياً من بنية حياته اندثرت... «فنحن كفلسطينيين ورثنا ١٩٤٨، ولكن أين كان موقعنا من هذا الإرث الثقيل؟ ففي مجتمعات كمجتمعاتنا، اي في مجتمعات الحروب، لا يمكن التخلص بسهولة من التداعيات السلبية التي تتركها الحرب في النفوس. ولعل أحد السبل للتحرر هو طرح الأسئلة على الماضي».

أسئلة طرحها خليفة من طريق شخصية ذكورية تائهة مصيرها الفشل الحتمي. فالسيد «ميم» بطل «زنديق» مخرج يتعثر في كل شيء منذ ان تطأ قدماه أرض الوطن. بداية، يتعثر فيلمه الذي جاء من اجله الى الناصرة ليوثق بالصورة شهادات من عايشوا نكبة ١٩٤٨، إثر خلاف قبلي بعد قتل قريبه فرداً من عائلة أخرى، ما يضعه أمام خيارين: إما التشرد وإما الموت - أوليس في هذا استعارة لحال الفلسطيني؟ -. ثم تتعثر محاولته العثور على فندق ليبيت فيه ليلته... كما تتعثر علاقته بحبيبته لتتوالى إخفاقاته مع النساء اللواتي يلتقي بهن أو يحاول ارتباطاً معهن. وفي كل هذه الإخفاقات يرسم خليفي صورة مصغرة لفلسطين الداخل، حيث تتشابك العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين الى درجة انها تتخذ أحياناً شكل علاقات طبيعية، حتى انه يجعل بطله يقيم علاقة مع إسرائيلية، الأمر الذي دفع بعض الذين شاهدوا الفيلم الى الاستنتاج ان خليفي إنما حقق فيلمه وأدخل هذا الجانب فيه أملاً في نيل رضى الغرب عنه وعن الفيلم. استنتاج يرفضه خليفي بشدة، ويقول: «دوري كمخرج ملتزم ان اطرح الأسئلة وألا أشوّه الواقع. فكم من العرب يذهبون الى مناطق معينة في جزيرة سينا لإقامة علاقات جنسية مع إسرائيليات؟ أنا اصنع أفلاماً لأنني أعشق فلسطين. وفلسطين بالنسبة إليّ قصة عدل وحق يجب ان يعود لأصحابه، خصوصاً ان زرع إسرائيل في الشرق فصل شمال العالم العربي عن جنوبه. من هنا فإن التزامي التزام واعٍ». ويضيف: «عندما تسأل الإسرائيلية «ميم» في الفيلم، هل صحيح ان شاعركم الكبير صرّح يوماً ان مشكلتكم لو لم تكن مع اليهود لما كان أحد سمع بكم، يجيبها ان العكس هو الصحيح وأن اليهود لو لم يأتوا الى فلسطين لما كان أحد سمع بهم. ففلسطين هي المهمة، هي حلقة الوصل بين بابل ومصر، بين سومر والبحر الأبيض المتوسط، بين أوروبا وآبار النفط».

> نحن المقاومة. فأنا منذ ولدت وحتى الرابعة عشرة من عمري كنت ممنوعاً من الخروج من الناصرة. ولا أزال اذكر من طفولتي نافذة من زنزانة في سجن كانوا يضعون فيه المناضلين، فكنا نقف قرب النافذة ونشجع هؤلاء على الصمود

ولأن فلسطين هي الأساس، كان السؤال الذي يطارد «ميم» طوال الفيلم: ماذا عن عرب ١٩٤٨؟ هل ارتكبوا إثماً بثباتهم في أرضهم؟ وهل هم جبناء او حتى «خونة»؟ أسئلة يطرحها خليفي موارية لكي «يعيد الاعتبار الى تجربة هؤلاء الإنسانية». ويقول: «نحن المقاومة. فأنا منذ ولدت وحتى الرابعة عشرة من عمري كنت ممنوعاً من الخروج من الناصرة. ولا أزال اذكر من طفولتي نافذة من زنزانة في سجن كانوا يضعون فيه المناضلين، فكنا نقف قرب النافذة ونشجع هؤلاء على الصمود. حتى انه في أحد الأيام كتب أحد الشعراء المحليين قصيدة شعر حولنا وحول أسلوبنا ذاك في المقاومة... وأنا حتى الآن ما زلت عاجزاً عن وصف الشعور الذي يعتريني في كل مرة تقع عيناي عليها».

بارقة أمل ما

على رغم قتامة سيرورة الأحداث في الفيلم، إلا أن المخرج آثر ان يفتح نافذة يطل عبرها بريق أمل في النهاية وذلك حين ينقذ فتى من الوقوع في شرك إحدى العصابات، ويعلمه أصول التصوير... وكأن الكاميرا سلاح ضد التعسف... سلاح يعيد بناء الأسطورة كما ارتأتها مخيلة المخرج. لتسدل الستارة على حبيبته وهي تسير على الماء بثوبها الأبيض، فتبتسم له حيناً، وتسأله، حيناً آخر، ان ينضم اليها بإشارة من يدها قبل ان تختفي... ليكون التحرر في نهاية الأمر من طريق الكاميرا. وكأن في هذه النهاية تحية الى السينمائي الفلسطيني الذي بات قادراً على خدمة قضيته من خلال الصورة بعدما ابتعد من البروباغندا والإيديولوجية المفرطة واتجه نحو القضايا الإنسانية. ومن المعروف على أي حال ان ميشال خليفي كان اول من شق هذا الطريق من خلال أفلام «الذاكرة الخصبة» و «عرس الجليل» و «نشيد الحجر» و «حكاية الجواهر الثلاث»، وها هو اليوم يواصل المسيرة. «عندما جئت الى السينما كنت بمثابة حلقة وصل. إذ فهمت أهمية السينما السياسية. وفي الوقت ذاته كنت مدركاً ان العالم ليس ضدنا بالضرورة ومن ناحية المبدأ، لقد أدركت منذ البداية ان ما ينقصنا هو القدرة على إيصال صورتنا. من هنا كان لا بد من ان ابحث عن لغة سينمائية إنسانية، وأن اعبّر عن نفسي من خلال التجديد. ومع احترامي لكل السينمائيين الفلسطينيين، لا بد من ان أذكّر بأنني قد أنسنت السينما التي يصنعها مخرجون فلسطينيون وأعطيتها بعداً سينمائياً ولغة شاعرية. ولم أخش الهجوم الذي تعرضت له. حتى أنني فرضت على الجيل الذي جاء بعدي ان يواصل ما بدأته. فكان من الطبيعي ابتعاده من السينما التجارية لأن الظروف الموضوعية التي عشتها لا تزال كما هي».

ويختتم خليفي كلامه قائلاً: «لا شك في ان اكثر السينما تحرراً اليوم هي تلك التي يصنعها أفراد فلسطينيون. وهذه فرصة تاريخية يجب ان نستغلها بذكاء. خصوصاً ان الحرب مع إسرائيل تفرض علينا ان نحاكي حتى سينما العدو. ولا اكشف سراً حين أقول انه بعد نجاحنا في توظيف سينمانا المتحررة على الصعيد العالمي، راح الإسرائيليون يبحثون عن آلات مجابهة جديدة للتصدي لسلاحنا الجديد والفعال هذا، وفرضوا موازنات محددة على بعض الدول الأوروبية لمساعدتهم. والأكيد اننا سنربح في هذه المعركة لأن العدل والحرية والحق من جهتنا، وما علينا إلا ان نجد الأساليب واللغة القادرة على إيقاف آلتهم الحربية تماماً مثلما نجحنا في إيقافها في الثمانينات».

عن الحياة

فيلم <زنديق> لميشيل خليفي
قراءة في الشخصية الاشكالية متعددة الدلالات

أثار فيلم «زنديق» للمخرج الفلسطيني جدلاً واسعًا لم تنتهِ تداعياته حتى بعد فوزه بجائزة المهر العربي في الدورة السادسة لمهرجان دبي السينمائي الدولي لهذا العام. فالفيلم ينطوي على جدلية إشكالية تناقش ثنائية الذات والموضوع لمواطن فلسطيني يقرر العودة من بلدان الشتات الى مدينة رام الله. وحينما يقوم ابن أخيه بقتل مواطن من مدينة الناصرة يضيق به الزمان والمكان فيظل يدور طوال الليل باحثًا عن مأوى يقضي فيه ليلة واحدة فلم يجد سوى جوف سيارته التي تحتوي قلقه وضياعه وحيرته الأبدية كإنسان مرهف.

عدنان أحمد

بدئ ذي بدء، لابد من الإشارة الى أن فيلم «زنديق» للمخرج الفلسطيني ميشيل خليفي قد تنافس مع تسعة أفلام روائية طويلة وفاز بجائزة المهر العربي لأفضل فيلم في الدورة السادسة لمهرجان دبي السينمائي الدولي. وهذه الأفلام هي «وداعًا غاري» لنسيم عمواش، «أميركا» لشيرين دعيبس، «عصافير النيل» لمجدي أحمد علي، «كل يوم عيد» لديما الحر، «حرّاقة» لمرزاق علواش، «ضربة البداية» لشوكت أمين كوركي، «الرجل الذي باع العالم» لعماد نوري وسهيل نوري، «واحد- صفر» لكاملة أبو ذكري، و «زهر» لفاطمة الزهراء زعموم». ولابد أن لجنة التحكيم الموقرة التي رأسها المخرج الجزائري أحمد راشدي والتي ضمّت في عضويتها كلاً من الممثل المصري خالد الصاوي، والناقد المغربي مصطفى المسناوي، والناقد السينمائي السويسري إدوارد واينتروب، وتيم سمايث، رئيس شركة فيلم ووركس للانتاج السينمائي، قد رأت في الفيلم ما يميزه عن بقية الأفلام الروائية الطويلة التسعة التي تبارت على الفوز بهذه الجائزة المهمة التي تبلغ قيمتها المادية خمسين ألف دولار أميركي.

يسعى أغلب المخرجين لتحقيق رؤيتهم الإخراجية التي خططوا لها أو رسموها في أذهانهم قبل الشروع في تنفيذ هذه المشاريع. غير أن نسبة تجسيد هذه المشاريع المُتخيلة تزداد حينما يكون المخرج و كاتب القصة السينمائية أو السيناريو هو المخرج نفسه. كما هو الحال مع المخرج الفلسطيني ميشيل خليفي الذي أنجز فيلم «زنديق» وانتزع بجدارة جائزة أفضل فيلم روائي طويل.

قد يبدو عنوان الفيلم مثيرًا وغريبًا بعض الشيء، ولابد من تسليط الضوء عليه لاستجلاء المعاني الخفية التي يقصدها المخرج وكاتب السيناريو. فما معنى «الزندقة» هنا، ولماذا وُصِف البطل الذي أختزل اسمه الى حرف واحد وهو الـ «م». ولأننا لا نريد أن نقدم إجابة سريعة تفسد متعة القراءة النقدية لهذا الفيلم الذي توفر على معظم شروطه الإبداعية وحقق لنا، نحن المشاهدين، متعة بصرية وفكرية غاصت في تفاصيل القضية الفلسطينية منذ عام ١٩٤٨ وحتى الوقت الحاضر.

هاجس التوثيق

اختار المخرج المبدع ميشيل خليفي تقنية «الفيلم داخل الفيلم». إذ يضعنا في مواجهة مخرج فلسطيني يدعى «م» يقرر العودة من أوروبا الى مدينة رام الله تحديدًا لكي يصور فيلمًا وثائقيًا عن نكبة ١٩٤٨ ويوثق بواسطتها الفظائع التي ارتكبها الجيش الإسرائيلي بحق المدنيين الفلسطينيين. اذًا، فالتوثيق هنا يأخذ بُعدًا آخر يتجاوز حدود التسجيل العابر ليصل الى مرحلة جمع الوثائق الحقيقية التي لا يرقى اليها الشك. فالوثيقة الدامغة هي الشيء الوحيد الذي يخيف العدو الإسرائيلي، لذلك فإنهم يبذلون جهودًا جهيدة بغية تزوير الحقائق وطمسها إن أمكن. وكيف لهم أن يطمسوا مثل هذه الحقائق وشهود العيان لا يزالون أحياءً يُرزقون؟ إن عملية التوثيق وإسناد الدور الرئيس الى مخرج فلسطيني لابد أن يدعونا إلى التساؤل في الاحتمال الكبير للمقاربة بين «م» هذا الاسم المختزل والمتواري عن الأنظار، وبين «ميشيل خليفي» نفسه الذي تقنّع بهذا الحرف. وهذا احتمال معقول، لأن جزءًا من مهمة ميشيل المخرج هو توثيق للكارثة التي حلّت بشعبه، مع الأخذ في الاعتبار أن مهمته الابداعية تتجاوز حدود التوثيق الى حالات الخلق الابداعي التي يتوفر عليها المبدعون الحقيقيون فقط.

ثمة سؤال لابد من طرحه في هذا السياق مفاده: هل أراد «م» أن يكشف عن آلام تلك النكبة فقط، النكبة التي شرّدت ملايين الفلسطينيين سواء في داخل فلسطين، أم في بعض الأقطار العربية، أم في بلدان الشتات؟ أم أنه أراد أن يرصد تداعيات هذه النكبة وإنعكاساتها على الوضع الراهن الذي يمر به الفلسطينيون سواء في رام الله أو الناصرة أو عموم الأراضي الفلسطينية؟ وما دمنا نحاول تعزيز هاجس التوثيق لدى «م» أو المخرج نفسه فإن المشهد الافتتاحي سوف يساعدنا كثيرًا في حل اللعبة الاشكالية التي تقوم عليها عقدة الفيلم المركّبة التي تمزج بين ثنائية الحقيقة والحلم، أو الواقع والفانتازيا، أو الذات والموضوع. في المشهد الافتتاحي نرى «ميمًا» (محمد بكري) وهو يقود سيارته في زقاق ضيق جدًا يحيلنا على الجدار العازل حتمًا، أو على الأحياء الضيقة التي تخنق الأنفاس. وما إن يصل الى الشارع العام حتى نراه يتابع حبيبته (ميرنا عوض) التي تبدو غاضبة ومنفعلة وترفض أن تلج الى جوف السيارة، لكنه يقنعها في نهاية المطاف. الأمر الذي يكشف لنا أن علاقته مع النساء مضطربة ومتوترة وقائمة على الشكوك والتقاطعات الكثيرة التي سوف تبين لاحقًا ذهنيته وطريقة تفكيره التي استمدها من الغرب في أثناء هجرته أو غربته القسرية. غير أنها تستجيب له وتدخل الى جوف السيارة وترافقه في رحلته المحفوفة بالمفاجآت.

يصور «م» بعض اللقاءات مع أناس كبار طاعنين في السن يروون له المحن المتلاحقة التي مروا بها أو رأوها رأي العين، غير أنه يتلقى مكالمة هاتفية يخبرونه فيها أن ابن أخيه قد قتل شخصًا ما من مدينة الناصرة فتنقلب حياته الى جحيم لا يُطاق، إذ يحذره أهله وذووه من مغبة العودة الى البيت «الذي يرمز حتمًا الى البيت الفلسطيني الكبير» وهنا تتجسد دلالة معنى الـ «زنديق» الذي انتقاه المخرج عنوانًا لفيلمه الجميل. فالكل يتحاشونه وكأنه كائن منبوذ.

حبكة النص

ينعطف السياق السردي للفيلم ليأخذ أبعادًا رمزية تنأى به كثيرًا عن الواقع المعروف بتداعياته الخطرة. وعلى الرغم من أن خطر الانتقام واحد وهو الموت في نهاية المطاف إلا أن احساس «م» بالنبذ والاذلال هو أفظع من الموت ذاته. فها هو ينتقل من فندق الى آخر وهو في ذروة الاعياء إلا أن الجميع يرفضون إيواءه على الرغم من استعداده لأن يدفع المبلغ الذي يريدون وعذرهم في ذلك أن الوقت متأخر وأنهم لا يستطيعون مخالفة القانون. وحينما يأخذ التعب منه مأخذًا كبيرًا ينام في جوف سيارته وكأن «المكان» نفسه هو الذي يقوم بفعل النبذ والاقصاء. كما أن تقنية الدوران التي استعملها البطل بايعاز من المخرج وكاتب النص هي التي أمدّت الفيلم بعنصر مضاف من القوة. يا ترى، هل يبحث «م» عن الزمان والمكان في آنٍ واحد. الزمان الماضي الذي تبدد في ذكرياتٍ مؤلمة وفظيعة لا يمكن استرجاعها إلا بشق الأنفس، ومكان لا يمكن الحصول عليه إلا بمعجزة كبيرة في زمن ولّت به المعجزات. وتأكيدًا للثنائية الزمكانية يعود «م» الى منزله القديم فيكتشف وجود صبيين صغيرين ثم نعرف لاحقًا أن عصابة ما كانت تختطفهما وتسرق كِليهما. وقد كشفت لنا عدسة المصور آثار عملية جراحية لطفل سرقوا كِليته. ثمة مشاهد مثيرة قام بها «م» في منزله القديم. إذ أقدم على إحراق بعض الصور القديمة، لكنه في خاتمة المطاف ينقذ الصبي الصغير ويأخذه من وسط أحداث العنف ويقف معه على منطقة مرتفعة تطل على أبنية مُضاءة. وهناك يعلّمه كيفية التقاط الصور. والكاميرا هنا أداة توثيق مهمة. ومن خلالها يمكن أن نوثق كل شيء. وكما وثّق «م» أحداث العنف نراه اليوم ينقل خبراته لهذا الطفل الصغير الذي سيوثق لاحقًا كلِ شيء.

لابد من الأخذ في الاعتبار العديد من الجمل التي تفوّه بها أبطال هذا الفيلم. فالطفل الصغير، تمثيلاً لا حصرًا، يجيب على سؤال «م» بأن «أباه مسجون عند حماس» الأمر الذي يكشف عن طبيعة العلاقة بين فصائل الشعب الفلسطيني.

وعودًا على موضوع الزندقة فإن «م» الذي ظل يدور طوال الليل باحثًا عن مأوى أو ملاذ لم يجده في وطنه مردّه الى الشك به أولاً، ونبذه ثانيًا. فها هو يُعامَل معاملة الزنديق الذي ينأى عنه الجميع. فأحد معاني الزندقة كما ورد في «المنجد» هو «الكفر باطنًا مع التظاهر بالايمان». أما «الزنديق» في «لسان العرب» فيعني «الملحد والدهري» ولذلك فإن الناس يتفادون هذا «الملحد الذي لا يُراعي حرمة ولا يحفظ مودة». فلا غرابة أن نراه نائمًا في مساحة ضيقة من جوف سيارته.

علامات دالة

يكتظ فيلم «زنديق» لميشيل خليفي بالعديد من الاشارات والعلامات الدالة التي تسلّط الضوء على شخصية «م» الاشكالية. ففي البدء نراه «زير نساء» مرتبطًا بأكثر من امرأة في آنٍ واحد. وهذا يعني أن الثقافة الغربية التي تربى عليها تتيح له أن يلبي رغباته الجنسية، ويحققها من خلال التواصل مع أي امرأة حتى وإن كانت إسرائيلية. وكنا نشاهده وهو يقبل بحرارة كبيرة فتاة إسرائيلية كانت تقول له إنها «تقبّل للمرة الأولى شخصًا فلسطينيًا». غير أن ردود الفعل كانت قوية من قبل حبيبته التي صفعته أول الأمر، ثم أجبرته من خلال موقفها القوي أن يتراجع لكي يضعها هي وحدها نصب عينيه. وربما يكون المشهد النهائي للفيلم هو أكثر المشاهد تعبيرًا عن قوة الشخصية النسوية التي إستدرجته في نهاية المطاف الى فضائها الأنثوي الرحب وهي ترتدي حلّة زفافها البيضاء.

نخلص الى القول إن «م» يمكن أن يكون الحرف المُختصَر لأي «مواطن فلسطيني»، كما يمكن أن يكون دلالة لأي شخص «مُحتَل أو مُضطهَد» في العالم. على الرغم من أنني أرجح أن يكون هذا الـ «م» هو الوجه الآخر للمخرج الذي أطلّ علينا بصورة الزنديق الذي يتفاداه الآخرون وينفرون من حضوره الثقيل.

لابد من الاشادة بأداء الفنان محمد بكري الذي جسد دور هذه الشخصية الاشكالية ومنحها الكثير من القوة والمصداقية وأتاح للمشاهدين فرصة متابعة عمل سينمائي فلسطيني سلس مبني بناءً دراميًا قويًا يفحص ثنائية الذات والموضوع في آن معًا. ولا يتيح للضجر أن يتسرّب الى بصر المتلقي وبصيرته لأن الأحداث والمشاهد المتتابعة مليئة بعناصر الشدّ والتشويق والترقب.[1]

عن إيلاف

ميشال خليفي يهدي جائزة المهر لأطفال غزة: الى كل الاطفال الذين يملكون الحق في الحلم

أكد المخرج الفلسطيني ميشال خليفي انه يهدي جائزة المهر لأفضل فيلم عربي التي منحتها لفيلمه <زنديق> لجنة تحكيم الدورة السادسة من مهرجان دبي السينمائي الدولي. الى <اطفال غزة وكل الاطفال الذي لهم الحق في الحلم>.

وقال خليفي لوكالة فرانس برس انه يهدي جائزته وهي أرفع مكافأة في المهرجان <لأطفال غزة وكل أطفال فلسطين وأطفال العالم الذين لهم الحق في ان يحلموا ويحققوا حلمهم من خلال الفن والسينما والادب>.

وتدور أحداث <زنديق> على مدى أربع وعشرين ساعة حافلة بالتوترات والاحداث التي لا تزال تنعكس في راهن الفلسطينيين منذ النكبة الى اليوم على خلفية عودة مخرج فلسطيني يعيش في أوروبا الى رام الله لتصوير فيلم يوثق للنكبة في ١٩٤٨.

و<زنديق> ليس العمل الوحيد المتعلق بفلسطين الذي منح جائزة في المهرجان الذي اختتم مساء الاربعاء، إذ ان اربع جوائز اخرى ذهبت الى افلام تتعلق بهذه القضية.

وشارك في مسابقة المهر للافلام العربية عشرة اعمال من فلسطين ولبنان ومصر والعراق والجزائر والمغرب وفرنسا تناوبت على انتزاع حصتها من الجوائز.

من جهتها، اكدت الفلسطينية نسرين فاعور التي منحتها لجنة التحكيم جائزة افضل ممثلة ان <الفن هو جواز سفري الى كل مكان>. وأضافت لوكالة الصحافة الفرنسية (فرانس برس): <أرجو ان يصل صوت كل امرأة تحمل قضية الى العالم اجمع>.

مؤكدة ان <ما ينقصني هو أهلي وناسي وجمهوري والذين يحبونني. فهؤلاء لولا ايمانهم بما اقوم به لما كنت وصلت الى هذه المكانة>.

وفاعور منحت الجائزة تقديرا لادائها دور أم فلسطينية مهاجرة الى الولايات المتحدة مع ابنها حيث تحاول الانطلاق من جديد في فيلم شيرين دعيبس <امريكا> الذي سبق له الفوز بجوائز عدة بينها اثنتان في القاهرة أخيرا.

وفي فئة الفيلم القصير نال فيلم <رؤوس دجاج> للفلسطيني بسام علي الجرباوي الجائزة الاولى بينما نال اللبناني طلال خوري جائزة لجنة التحكيم الخاصة عن فيلمه <٩٠ آب> الذي يتذكر فيه الشاعر الفلسطيني محمود درويش.

ومنحت جائزة المهر الثانية في فئة الفيلم الوثائقي لفيلم الفلسطيني بلال يوسف <العودة الى الذات> الذي صور فيه موضوع الخدمة العسكرية الاجبارية التي تفرض على الدروز الفلسطينيين وتجبرهم على دخول الجيش الاسرائيلي.

وكانت جائزة المهر لأفضل فيلم وثائقي من نصيب المخرجة المسرحية اللبنانية زينة دكاش المتخصصة في مجال العلاج بالدراما، عن عملها <١٢ لبنانيا غاضبا>.

ودكاش عملت على الفيلم بالتعاون مع نزلاء سجن رومية في لبنان حيث قدمت معهم عملا مسرحيا تمرنوا عليه طوال ١٥ شهرا، وشارك فيه ٤٥ سجينا بعضهم أمي لا يعرف القراءة والكتابة وبعضهم من مرتكبي جرائم القتل.

كما نالت زينة دكاش <جائزة اختيار الجمهور> عن هذا الفيلم مع انه وثائقي.

وقالت لوكالة فرانس برس انها تستعجل الوصول الى لبنان لإعلان الخبر للسجناء، مؤكدة ان <هذا يثبت انه يمكن لهم ان يثبتوا صوتهم، صحيح انهم عملوا أخطاء في وقت ما لكن يجب ان تكون هناك لكل انسان فرصة ثانية>.

وتم توزيع ٢٨ جائزة في مختلف المجالات لمسابقتي المهرجان اللتين استقطبتا اكثر من ٦٢ بلدا قدم أكثر من ٩٠٠ فيلم. واشار رئيس لجنة التحكيم المخرج الجزائري احمد راشدي الى ان جميع الاعمال التي قدمت على مستوى واحد تقريبا. وقال لوكالة الصحافة الفرنسية <لم يكن هناك مشاكل في لجنة التحكيم والصعوبة انه لم يكن هناك أي فيلم تميز فعليا والاعمال المعروضة كانت على مستوى واحد تقريبا>.

وتلقى المهرجان ٤٣٧ طلبا للمشاركة في مسابقة المهر العربية و٥١٣ طلبا للمشاركة في مسابقة المهر الآسيوي الافريقي. وخصص المهرجان للمسابقتين جوائز تبلغ قيمتها الاجمالية ٥٧٥ ألف دولار.

عن القدس العربي

دبي تمنح درع المهر العربي للممثلة الأفضل نسرين فاعور

ابتسام أنطون

بعد موسم الحصاد من الجوائز في مهرجانات السينما الدولية لفيلم أمريكا بطولة الفنانة نسرين فاعور وإخراج شيرين دعيس تحصد إستحقاقها الفنانة والمخرجة القديرة نسرين فاعور وتفوز بجائزة أفضل ممثلة في مهرجان دبي الدولي للسينما.

نقلا عن صفحة مهرجان دبي للسينما

«منحت لجنة التحكيم جائزة افضل ممثلة للفلسطينية نسرين فاعور التي اجادت في ادائها دور الام الفلسطينية المهاجرة الى الولايات المتحدة مع ابنها في فيلم شيرين دعيبس "امريكا" الذي سبق ان فاز بجوائز مهمة بينها اثنتان في القاهرة»

إضافة لتلك الجوائز المذكورة حصد فيلم

romman.saleem@gmail.com

أمريكا جائزة النقاد المحلفين في مهرجان كان -الفرنسي لأفضل فيلم.
وجائزة الجمهور في لبنان كذلك الامر مهرجان سنداس جائزة افضل فيلم .
ومؤخرا جائزة أفضل سيناريو وجائزة أفضل فيلم في مهرجان القاهرة السينمائي الدولي> الفيلم من بطولة الفنانة والمخرجة القديرة نسرين فاعور , والفنان القدير يوسف ابو وردة,والفنانة المبدعة عليا شويكات والفنانة القديرة هيام عباس والشاب الواعد ملكار معلم .
لقد عبرت الفنانة نسرين فاعور عبر القنوات الفضائية قناة روتانا خليجية وقناة سما دبي عن مدى مصداقية دورها في إعطاء صورة عن القيمة الإنسانية للفرد الفلسطيني أينما وطأت قدماه وخاصة إننا نبذل جهدنا أينما حللنا في إثبات وتثبيت هويتنا كشعب فلسطيني له كيانه وإعتباره وصموده ولا نسمح لطمسنا هوية وكيان,وأضافت قائلة هذه الجائزة ليست لي أنما لنا نحن المنعوتين بعرب الداخل نحن الفلسطنيون , ثم أثنت في مهرجان دبي قائلة : أعتبر مهرجان دبي له طابع مختلف عن بقية المهرجانات التي كنت حاضرة فيها كمشاركة , حيث يتميز بجودة التنظيم والاستقبال ومنح الضيف قيمته ,كما أنه مهرجان لا يقل أهمية عن مهرجان كان -الفرنسي وتعتز بحصولها جائزة من مهرجان فخم مثل مهرجان دبي.

عرض فيلمه ضمن فعاليات مهرجان دبي السينمائي الدولي
نصري حجاج: «كما قال الشاعر» هو محمود درويش

جهاد هديب

قال المخرج الفلسطيني نصري حجاج، صاحب فيلم "كما قال الشاعر" الذي عرض ضمن فعاليات مهرجان دبي السينمائي الدولي الذي اختتم مؤخرا: إن فكرة الفيلم أساسا هي أنني احتفاء بالشاعر محمود درويش وتعبيرا عن فقْده، فقد أحسست كما لو أنه بموته قد فقدته أنا شخصيا؛ كما لو أنه انزلق من بين يدي. لقد كنت تحت تأثير صدمة عاطفية كبيرة جدا فأحببت أن أصنع فيلما عن هذا الإحساس، لكن لم أكن أحب أن أصنعه بطريقة كلاسيكية".

أضاف: "لم أرد لأحد أن يتحدث عن محمود درويش غيري بل ينبغي أن أتحدث أنا عنه، وأريد في الوقت نفسه الخروج عن الأفلام النمطية التي تتناول الأشخاص حيث الحديث عن الذين رحلوا ليس بالضرورة أن يكون حقيقيا وإنما متخيلا أيضا، وتعوزه الصدقية والدقة في الرواية".

وأضاف: "سألت نفسي: ما الذي يجعل المرء يشعر بالإحساس بفقد محمود درويش فوجدت أنها الأمكنة التي ارتادها سواء مكتبه في رام الله في مجلة الكرمل في مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومكتبه في بناية مركز الأبحاث الفلسطينية في بوصفه رئيسا لتحرير مجلة "شؤون فلسطينية". ثم إنه قد قرأ مطارح كثيرة بل ومناف كثيرة في حياته مثل مسرح الأوديون في باريس وفي المسرح البلدي في تونس وفي مدرج جامعة دمشق والمدرج الشمالي في جرش، عودة إلى قصر رام الله الثقافي وهكذا، وذلك فضلا عن أنه قد عاش في هذا البيت وذاك، وأحب هذا المكان وذاك وهذه المدينة أو تلك، فتبلورت الفكرة بالشكل التالي: وهي أن أصور المسارح التي قرأ فيها فارغة بحيث أنه قد ترك صوته موجودا هنا".

وتابع حجاج: "لكن ثمة خراب ما، فبناية مركز الأبحاث في بيروت آيلة للسقوط بطوابقها الثمانية، ثم أدري أن هناك شعراء ومثقفين من كل العالم يحبون شعر محمود درويش فبحثت عن عدد من الشخصيات العالمية وقمت بتصويرهم فيما يقرأون صوت محمود درويش بلغاتهم، وبالتالي التعبير عن البعد الإنساني لشعر محمود درويش وأين وصل هذا الشعر كونيا. ومن هذه التوليفة كلها صنعت هذا الفيلم تعبيرا محبتي وفقْدي لمحمود درويش معا".

وفيما يتصل بالفقْد من حيث أنه ثيمة أساسية في صنيعه السينمائي مثل "ظل للغياب" الذي يطوف فيه صاحبه خلف الفلسطينيين في قبورهم في أماكن عديدة من العالم، من أميركا اللاتينية وحتى فيتنام، قال نصري حجاج: "إن الفقْد جزء من شخصيتي ومن تكويني النفسي والإنساني.

لقد ولدت في مخيم عين الحلوة في لبنان وهناك عرفت أنني فلسطيني فتربيت وأنا أسمع حكاية أهل وأرض وخيل وزرع في فلسطين لكني لم أرها مطلقا. فكان فقْد المكان موجودا دائما ولم أكن يوما مواطنا بل لاجئا في كل مكان ذهبت إليه". وزاد: "لثماني وعشرين سنة عشت في المخيم ثم تنقلت في بلاد كثيرة وأقمت في بريطانيا سبع سنوات ثم منعت من

دخولها لثلاث وعشرين سنة، ورفع الحظر قبل شهور، وهذا فقْد أيضا لمكان درست فيه وتثقفت فيه وعرفت فيه أشياء كثيرة. إن الإحساس بالفقْد هو جزء من الحياة الفلسطينية لكنّ الإحساس به يتفاوت باختلاف الأشخاص".

وعن أنّ تحويل هذا الإحساس بالفقْد ليصير إبداعا، هو الفكرة الأساسية لـ"كما قال الشاعر" أوضح نصري حجاج: "أشعر بأنني نجحت في التعبير عن هذا الإحساس، لأنني عشته واقعيا وانبنت تجربتي وفقا له".

وقال في هذا السياق: "أنا أعبّر عن نفسي أولا لكنّ ذاتي ليست منفصلة عن الروح الإنسانية والاجتماعية والسياسية والتاريخية للشعب الفلسطيني، ما يعني أنني لست منفصلا عن شرطي التاريخي. لقد تربيت في مخيم وتكوّنت نفسيتي في هذا الواقع. فنفسي هي ذاتية وموضوعية، إنما نتيجةً لشيء ما أو نتيجةً لجهدي الخاص فقد استطعت أن أعبر عن هذا الواقع. بالتالي عن الذات التي تخصني والتي هي ليست ذاتا تجريدية بل واقعية تماما. لذلك فعندما كنت أقرأ قصيدة لمحمود درويش كنت أشعر بأنه يتحدث عني أنا: عن نصري حجاج شخصيا، ثم ذهبت أكثر من ذلك فيما بعد فصرت أشعر بأن ما يكتبه محمود درويش هو ما أكتبه أنا وأعيش فعليا في كل حرف ومعه".

وأوضح: "دعني أقول شيئا أيضا فقد قمت باختيار القصائد التي قرأها أصدقاء محمود درويش في العالم، بل قمت بتحريرها أي أنني قمت بتقديم جمل وتأخير سواها، أي أنني أعدت قراءته تماما".

"إن الفيلم هو محمود درويش بحسبي أنا". بهذا ختم نصري حجاج حديثه لـ"الاتحاد الثقافي".[1]

عن الاتحاد الإماراتية

محمود درويش في فيلم وثائقي جديد
محمد بكري: إسرائيل صوّرت مجزرة «جنين» بكاميرا أفراح

علا الشيخ

على الرغم من أن حياته تنحصر بين المسرح والتلفزيون والسينما، إلا أن الفن لم يشفع له أمام المحكمة الإسرائيلية التي تتهمه بالعنصرية ومعاداة السامية، والتي سيصدر حكمها في مطلع العام المقبل، خصوصاً بعد فيلمه «جنين جنين» الذي يعد تجربته الإخراجية الأولى. وقال المخرج والممثل الفلسطيني محمد بكري لـ«الإمارات اليوم» «اتهمت بالعنصرية لأني صوّرت الواقع الذي لم يقدر الإعلام على تصويره بعد منعه من دخول مدينة جنين، التي تعرضت لأبشع المجازر التي حدثت في التاريخ». وأضاف «أنا انتظر الحكم، ومهما كان سأتقبله، لأن فلسطين تحتاج منا إلى كثير من التضحيات». بكري أكد أنه سيظل مخلصاً للفن والكاميرا مهما كانت النتائج. «لأننا بالفن يمكن أن نحرك العالم ونلفت نظره

إلى قضيتنا العادلة أكثر من القنابل. عبر الفن يمكننا تجسيد رائحة الموت، وهي شيء غير ملموس لا يستطيع أن يعبر عنه إلا الفن».

وقال «أدرك أن الحرب مع الكيان الاسرائيلي تتعدى مسألة الأرض التي هي بالأساس مغتصبة، لأنها صارت حرباً ثقافية بكل ما تعنيه الكلمة من معنى». وأضاف «أنا ممثل، ولم أكن أتوقع أن أقف يوماً خلف الكاميرا، ولكن من هول ما سمعت عن مجزرة جنين، خصوصاً أن إسرائيل منعت وسائل الإعلام من دخول المنطقة قررت أن أذهب بكاميرا استأجرتها من محل لتصوير الأفراح». وأوضح «تهمتي أن فيلمي يحكي عن جنين التي لم يصل الناس إلى حقيقة ما حدث فيها، تهمتي أني صورت رائحة الموت المنبعثة من كل مكان». وأضاف «كنت أقدم مسرحية للوركا في مدينة الناصرة، وفي تلك الأثناء قامت القوات الإسرائيلية باجتياح جنين، وكان أول رد فعل من قبلي أن قمت بوقف عروضي المسرحية، ثم بدأت تصلنا أخبار مفادها أن الجيش الاسرائيلي قام بإغلاق جنين ومنع دخول الصليب الأحمر ووسائل الاعلام، فشعرت كما شعر الكثير بأن هناك شيئاً سيحصل وسيكون مدمراً، فقررت وفريق العمل في المسرحية الاعتصام امام القنصلية الأميركية في القدس احتجاجاً على السياسة الاميركية الداعمة، وغنينا أغنية الشيخ امام (شرفت يا نيكسون بابا)».

وأوضح أنه في ثاني أيام المجزرة شارك هو والممثلة الفلسطينية فالنتينا في تظاهرة سلمية «وقفنا رافعين الشعارات فجاءت سيارة جنود إسرائيلية وأطلقت النار علينا فأصيبت فالنتينا، وفي هذه اللحظة سألت نفسي: إذا كنا نحن المسالمين والواقفين بشكل حضاري تم إطلاق النار علينا، فما الذي تفعله اسرائيل بأهالي جنين؟ فقررت الدخول الى جنين مهما كانت العواقب، وإذا كانت الحقيقة وقولها هي التهمة التي ستلاحقني فأهلاً بها».

زهرة

يصور بكري في فيلمه الوثائقي الأخير «زهرة» خالته زهرة التي شُردت من منطقتها عام ١٩٤٨، ولكنها ظلت مُصرّة على أن تعود إليها. وأوضح أنه ولمدة ثلاث سنوات وهو يحضر للفيلم ويجوب برفقة خالته أماكن ويزور أشخاصاً لتكوين شهادات حية عن النكبة التي مازال أثرها موجوداً». وقال «الجلطة القلبية التي تعرضت لها خالتي كانت بمثابة جرس إنذار للإسراع في تسجيل شهادتها وشهادة من حولها بطريقة مختلفة عن الافلام التي قدمت فيها قصص النكبة». وأضاف «لا تترك زهرة قضية إلا وتتطرق إليها، بدءاً من زواجها بابن عمها حسن مروراً بالهجرة القسرية لها من قريتها «البعنة» في الجليل وعودتها إليها بعد أن أقل من عام، مقدمة صورة واضحة لنجاح ما يقارب من ١٥٠ ألف فلسطيني في البقاء أو العودة إلى منازلهم في مدنهم وقراهم التي رحلوا أو أجبروا على الرحيل عنها في عام ١٩٤٨».

تروي زهرة حكايات من رحلة السفر من قريتها الى لبنان، ومنها قصة تلك المرأة التي كانت حاملاً في شهرها التاسع وجاءها المخاض وهي في الطريق، فما كان منها إلا أن قطعت الحبل السري بحجر ولفت ابنها وحملته وأكملت السير. وتحكي اول شتيمة سمعتها من الناس وكانت حينها «يا لاجئة». فاللجوء كان يعتبر شتيمة وعاراً كبيراً على من ترك أرضه، أما اليوم فاللاجئ يعتبر رمزاً نحتمي وراءه لنحقق العدل في عودته، وهي المطلب الرئيس الذي لا نستغني عنه كالقدس تماماً. وأشار إلى أن الفيلم مبني على قصة حقيقية تتضمن الرحلة التي واجهها اللاجئون الذين تركوا منازلهم خوفاً من الجوع والعطش، وهي تركيز على الطريق الطويل الذي لا يعرف برداً أو مطراً، بل يعرف قهراً وظلماً وحسرة.

الخط الأخضر

وقال بكري الذي يؤمن بأن الفن قادر على أن يكون صلة الوصل بين شعوب العالم «أحرص على عرض جميع أفلامي التي أقوم بإخراجها أو التمثيل فيها داخل الخط الاخضر(إسرائيل)». وأضاف «أنا أعيش هناك، لأني متمسك ببيتي وأرضي، على الرغم من المعاملة السيئة التي أتعرض لها، وأن عدداً من الدول العربية يتعامل معي كإسرائيلي لأني مجبر على حمل جواز سفر إسرائيلي». وأكد أن إسرائيل استطاعت أن تستميل عاطفة أوروبا وأميركا بكمية الافلام التي تنتجها سنوياً، ناهيك عن إعلامها القوي وسيطرتها على إعلام تلك الدول، لذلك أعرض أفلامي وأحرص دوماً على وجودها أمامهم كي أقول لهم إنني كفلسطيني موجود وحي، وأن العالم لم يعرف بعد الحقيقة الكاملة.

درويش في الذاكرة

تدور أحداث الفيلم الذي يجسد فيه المخرج والمثل الفلسطيني محمد بكري شخصية الشاعر الفلسطيني الراحل محمود رويش، حول طفولة وشباب هذا الشاعر الكبير الذي يعيش في قلوب الفلسطينيين والعرب جميعاً. ويروي الفيلم علاقة درويش بأصدقائه الشخصيين الذين قضى معهم أوقاته في مختلف البلدان في العالم، حيث كان دائم التنقل من دون أن يستقر به الحال في بلد معين، كما يصوّر علاقته بعائلته في قرية الجليلية الجديدة على مسافة بضعة كيلومترات من مسقط رأسه قرية «البروة» المهجّرة. ويتناول الفيلم روائع درويش الشعرية والأدبية والسياسية، مروراً بكل محطاته التاريخية والجغرافية منذ طفولته في «البروة» قبل النكبة وصولاً إلى بدايات شعره وعلاقته بالكتاب واللغة والملاحقات من قبل أجهزة السلطة الإسرائيلية، ثم يتطرق إلى مرحلة خروجه من البلاد إليأ موسكو، مصر، بيروت، باريس، تونس، رام الله، عمان، وصولاً إلى الثرى الذي احتضنه فيأ رام الله، فهي بالنسبة إلى بكري سيرة ذاتية تحمل قصة شعب مازال يبحث عن الحرية والاستقلال تتجسد فـ'ي قصة شاعر وإنسان عملاق.

عن الإمارات اليوم

جريدة PDF ثقافية فلسطينية
ميلي ميلي يا شجرة الرمّان..
romman.saleem@gmail.com

فيلمها <المر والرمان> فاز بجائزة الفيلم العربي في <ترايبيكا ـ الدوحة> نجوى النجار: بطولة الفلسطيني الحقيقية في قدرته الدائمة على الحياة

رحاب ابو هوشر

لم تذهب المخرجة نجوى النجار بعيدا عن حكايتها الفلسطينية عندما اختارت <المر والرمان> عنوانا لفيلمها الروائي الأول. تذكرتْ أسطورة كانت قرأتها من الموروث الشعبي الفلسطيني، وتقول الأسطورة أن في كل رمانة بذرة تأتي من الجنة، هي بذرة الأمل والحياة، فمزجت حلاوة الرمان بمرارة عيش الفلسطيني تحت الاحتلال، وكتبت بالمذاقين سيناريو وحوار الفيلم أيضا.

الفيلم جاء مغايرا في طرحه لنمطية سادت سينما القضية الفلسطينية، كما تميز بأسلوب إخراجي ناضج، ظهر جليا في سيطرة المخرجة على عناصره الفنية، وفي قدرتها العالية على التوظيف الرمزي لفنون أخرى كالرقص في تشكيل رؤيتها الإخراجية، فأحرزت نجاحا كبيرا في شد حواس وأحاسيس المتلقين حتى النهاية.

<المر والرمان> فيلم يجسد العذابات التي يواجهها الفلسطينيون في ظل الاحتلال، بلغة سينمائية حرصت على إبراز الوجه الإنساني للفلسطيني في تفاصيل عيشه اليومية، من خلال قصة تجري أحداثها في فلسطين، عندما يتزوج (زيد) من (قمر) العاشقة للدبكة والرقص الشعبي، ويأتي بها من القدس لتقيم معه في رام الله، حيث يعمل في مزرعة زيتون تمتلكها أسرته، وتلتحق زوجته بفرقة للدبكة والرقص الشعبي في المدينة. لا تمض أيام على الزفاف، حتى تداهم قوات الاحتلال المزرعة لمصادرة الأرض واعتقال زيد. بعد مواجهة عنيفة أبدعت المخرجة في تصويرها، لتصبح العروس زوجة معتقل، محاطة بالمحظورات الاجتماعية، ولا تجد إلا الرقص ملاذا للتحرر، فتتسلل عائدة لفرقة الدبكة، حيث تلتقي مدربا جديدا، هو (قيس)، الفلسطيني القادم من لبنان، وتنشأ بينهما مشاعر مبهمة، تظل حبيسة الصمت والصراع الذي تعيشه (قمر) ما بين وفائها لزوجها المعتقل وإعجابها بالمدرب، والذي تحسمه بالعودة لزوجها بعد الإفراج عنه.

شارك فيلم<المر والرمان>في عدة مهرجانات سينمائية دولية، وحصل على جوائز منها جائزة مهرجان سان سباستينان الاسباني عام ٢٠٠٨، كما افتتح <الليالي العربية> في مهرجان دبي السينمائي عام ٢٠٠٨، وكانت آخر مشاركاته في مهرجان ترايبيكا الدوحة، حيث انتزع جائزة الجمهور لأفضل الأفلام العربية قبل بضعة أيام. والمخرجة نجوى النجار، درست الإخراج السينمائي في الولايات المتحدة، وفي رصيدها بضعة أفلام وثائقية وروائية قصيرة، وتقيم بين عمان ورام الله. التقيتها في عمان حيث يعرض فيلمها حاليا، وحاورتها لمعرفة المزيد حول تجربتها السينمائية في هذا الفيلم:

كنت المؤلفة وكاتبة السيناريو والمخرجة للفيلم، من أين أتيت بفكرة الفيلم؟

أردت تقديم قصة واقعية عن الحياة الفلسطينية تحت الاحتلال، لم أرغب بتقديم فيلم وثائقي عن ظروف الاحتلال كما اعتدنا في الكثير من أفلامنا. فكرت بقصة حول أناس عاديين، يمارسون حياتهم اليومية في ظل المعاناة المستمرة، وفي نفس الوقت لا يتجاهلون إنسانيتهم. إنهم مثل كل البشر، يحبون ويتزوجون ويفرحون ويتألمون. الفلسطينيون قبل أن يكونوا موضوعا لقضية، هم ذوات إنسانية لا تختلف عن أي انسان في هذا العالم، وهم شعب لأفراده ملامحهم الاجتماعية وتقاليدهم التي تخصهم. هذه كانت الفكرة الأساسية التي أردت إبرازها، وقمت بصياغتها عبر قصة حب وزواج، لا يهنأ بها العروسان بسبب الاحتلال، فيسجن الرجل لدى الاحتلال، وتسجن المرأة في ثقافة المجتمع، في معادلة ما بين قيود الجسد في السجن الصغير، وقيود المجتمع الكبير الذي أسر زوجته، وبالتالي يأسرنا كلنا.

هل هو فيلم تجميلي للواقع الفلسطيني تحت الاحتلال، ألم يكن <ناعما> بالنسبة لفيلم عن القضية؟

بالخلفية كان الاحتلال واضحا في قسوته، نقاط التفتيش والحواجز، الجدار العازل، ومصادرة الأرض، السجن، المعاناة والخوف، قطعا لم يكن تجميليا. لكنني ركزت على فكرة كوننا قادرين على صنع الحياة، وعيشها بتفاصيلها الإنسانية بالرغم من الألم والواقع المأساوي. إن نحن فقدنا القدرة على الحياة أو توقفنا عن الحب، عندها فقط يكون الاحتلال قد انتصر، لأنهم يريدوننا أن نموت. نحن لسنا أبطالا فقط، أو شهداء ومعتقلين، نحن بشر قبل كل هذا.

كيف تتحدد ملامح البطولة التي تصل حد الترميز في شخصية، وما هي المسافة التي تفصلها عن ملامح الإنساني؟

بالنسبة لي ليس البطل فقط من يقوم بأعمال خارقة ضمن مفاهيمنا السائدة، والتي تفقد الإنسان إنسانيته، عندما نحوله إلى رمز لا يجوز المساس به، منزه عن الأخطاء والضعف البشري. إنني مع بطولة تكشف الإنساني العميق في الشخصية، <قيس> في الفيلم بالنسبة لي بطل، بما واجهه خلال لجوئه في لبنان، وبقدرته على الصمود، واصراره على الاستمرار واستكمال حلم والده، بالعودة إلى فلسطين. والبطل بالنسبة لي هو إنسان يشبهني، ويمكنني رؤيته والإحساس به. هذا هو البطل الحقيقي بنظري. ما عدا ذلك يصبح أبطالنا آلهة، وأنا لا أبحث عن آلهة.

أثار <المر والرمان> جدلا واسعا، وطالته انتقادات تعلقت بموضوعه، كما اختلفت قراءاته السينمائية؟ لماذا برأيك أثار كل ذلك الجدل؟

لم أصنع الفيلم بقصد إثارة الجدل، ولم يكن اختياري لقصة الفيلم لتكون مثار جدل، فوجئت حقيقة بحجم الجدل الذي أثير على مدار سبعة أسابيع من أول عروضه في مدينة رام الله، من قبل النقاد والصحافيين، وللأسف كان منها بعض الآراء التي تناولت الفيلم بشكل أسيء فيه فهم رسالته، وكشف لي ذلك ما وصلنا إليه من انغلاق فكري، رغم أن مجتمعنا كان يتميز دائما بالانفتاح الاجتماعي والثقافي، ورغم تميزنا تاريخيا أيضا بالتحضر، وتقبل الاختلاف الفكري. على أنني من جانب آخر سررت بهذا الجدل، لأنه دلالة حراك ثقافي على الأقل. كان لا بد للاختلاف في قراءة الفيلم من أن يثير جدلا، وهذا من الإيجابيات التي حققها الفيلم.

تشكل شخصية المعتقل أو السجين قيمة رمزية في تاريخ النضال الفلسطيني، وقد تعرض الفيلم لهجوم من بعض الأطراف في الداخل، باعتباره شكل إساءة لشخصية السجين وزوجته. هل كان كسر هذه الرمزية مقصودا لديك لرغبتك في تقديم رؤية جديدة؟

السينما هي أداة للتعبير عن الفكر الحر، لا تحتمل قيودا ولا ضوابط ولا خطوطا حمراء، كما لا تحتمل أيضا الاختلافات في الفكر والرؤية، بين هذا التيار وذاك، ولكل مجتمع خطوطه الحمراء التي أتفهمها، لكنني كمخرجة أو فنانة لا يمكنني الالتزام بها كإطار يحدد عملي. كيف يمكنني تقديم ما أعتبره إبداعا، أو ما يشكل إضافة، اذا التزمت فقط بما يريده المجتمع، وما الحاجة للإبداع كله إذن؟ علاوة على ذلك، فإن ما قدمته في الفيلم، ربما لاقى اعتراضا من البعض، لكنه لامس هموم آخرين كثر. التقيت بسجناء محررين، وبزوجات سجناء، قاموا بشكري على الفيلم، وذكروا لي بأن ما قدمته لا يقارن بالمعاناة الفعلية

التي تعيشها الزوجات خلال سجن أزواجهن. أحدهم قال لي: لن تصدقي وأنا السجين السياسي (الرمز) ما فعله أهلي بزوجتي. كل همي كان تسليط الضوء على هؤلاء الذي يدفعون الثمن من حياتهم وحياة أسرهم، ثمنا لحرية شعب ومجتمع بأكمله، لكنهم في نفس الوقت منسيون ولا يشعر أحد بمعاناتهم ومعاناة زوجاتهم كبشر، لديهم احتياجاتهم الإنسانية وآلامهم أيضا.

هل هذه الطروحات، على إنسانيتها، تعد من أولويات الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال، ويعاني من القصف والترويع والتجويع؟ هل المرأة التي تجهد لتربية أولادها وحمايتهم، تجد متسعا لهموم الأنثى العادية في أي مكان في العالم؟

أود التأكيد بداية على تميز المرأة ا لفلسطينية ، وإثباتها لذاتها في كل مكان تتواجد فيه، فهي امرأة واعية، عاملة، قوية، وقادرة على إدارة حياتها، ونتيجة لظروف الاحتلال القاسية، كثيرا ما يلقى عليها عبء العائلة بأكمله، وتنجح في مهمتها بشكل مشرف. وخلال عملي على الفيلم في الداخل، لقيت تعاونا كبيرا، ولم أشعر بأي تعصب أو رفض، الوضع قاس وشديد الصعوبة، لكن المرأة الفلسطينية موجودة دائما وفي كل مكان، ولا زال المجتمع منفتحا هناك في فلسطين.

ربما كان في سؤالك إشارة إلى بعد طبقي، وفي الحقيقة لم أهتم به في الفيلم. كنت أشتغل على الإنساني الموجود لدى كل امرأة، وأتساءل هل إذا كانت المرأة منهمكة بحياة أولادها، ألا تشعر بالوحدة؟ وهل تموت احتياجاتها ورغباتها، ومخاوفها وآلامها كإنسانة؟ ربما تختلف أشكال التعبير وفقا لشخصية كل امرأة ومستواها التعليمي والثقافي والاقتصادي، لكنني أعتقد أن الإحساس الإنساني واحد، وقد قابلت نساء عديدات في مرحلة الإعداد للفيلم، ومن مختلف المستويات والظروف، حتى أمسكت بملامح الشخصيات التي رسمتها لكل امرأة في الفيلم.

يتميز الفيلم باحتفائه بالمكان وبالبيئة الاجتماعية، ويكشف عن طقوس الحياة الفلسطينية، وهو ما ندر أن رأيناه في السينما الفلسطينية، هل تعتقدين أن الفلسطيني-الإنسان غائب الحضور سينمائيا؟

نعم، لقد ظلت الحياة الفلسطينية مغيبة سينمائيا في معظم ما أنتج من أفلام، ولم يطلع العالم على جوانب الحياة اليومية للفلسطينيين، بوصفهم شعباً، لهم أسلوب حياة ممتد، لهم تقاليد وطقوس ومأكولات، بالإضافة إلى تراثهم في الغناء والرقص. خلال عملنا على الفيلم، تركز معظم الجهد على تلك التفاصيل، عملنا عليها بعناية. في مرحلة الإعداد، قمت بإجراء دراسات مطولة، حتى توصلت لما يتوجب تقديمه. وبالتأكيد فإنني أردت الاحتفاء بالمكان أيضا، لأن فلسطين جميلة جدا، بجغرافيتها وطبيعتها ومعمارها. عادة لم نكن نرى سينمائيا إلا جانبا واحدا من الواقع الفلسطيني، وهو المأساة، وعلى أهميته، إلا أن الجانب الآخر، الاجتماعي والتاريخي الذي يشير إلى وجودنا وبقائنا، ظل مهمشا. كثير من الناس ومنهم عرب، لا يعرفون شيئا حتى الآن عن أسلوب حياة الفلسطينيين، وقد واجهت هذا في مهرجان دبي، جاءتني ممثلة بحرينية، بعد عرض الفيلم، وقالت لي: الآن عرفتكم وعرفت كيف تعيشون.

ينفتح الفيلم على مشهد واسع للأرض الفلسطينية، أنت الفلسطينية الأمريكية المولد، كيف تشكل وعيك بهويتك كإنسانة ثم كفنانة؟ كيف انبنت علاقتك مع الوطن-الأرض؟

هذا سؤال ملتبس، لأن خصوصية الهوية لا تعنيني حقا، فوالدي نشأ في القدس لكن جذوره تمتد إلى مدينة السلط الأردنية، أما والدتي فهي من مدينة يافا. لقد نشأت في بيت عربي، لا يقيم وزنا لكل هذه الفروقات، وفي نفس الوقت، نشأت على الانتماء لعروبتي ولقيمي الانسانية. أما علاقتي بفلسطين، فهي لا تنفصل عن علاقتي بكل ما هو إنساني. قضية فلسطين بالنسبة لي هي قضية حق عادلة، لا تختلف نظرتي لها عما كان يجري مثلا في جنوب إفريقيا. القضية بالنسبة لي إنسانية أكثر من كونها وطنية في إطار ضيق، بغض النظر عن انتماءاتي العائلية.

في الفيلم إبراز لهوية الأسرة الدينية، خلال طقس الزواج مثلا، وفي أكثر من موضع. لماذا اخترت لفيلمك أسرة مسيحية وليست مسلمة؟

لم يكن ذلك مقصودا تماما، فالمسيحيون وأنا منهم موجودون في فلسطين إلى جانب المسلمين، وهم جزء أصيل من الشعب الفلسطيني، لذلك لم أجد مشكلة أو محاذير في تقديمهم، بالإضافة إلى بعد آخر مهم بالنسبة لي، وهو ما يحدث مؤخرا، من تراجع لخطاب القضية بوصفها قضية وطنية لصالح اعتبارها قضية دينية - اسلامية، أنا هنا أشدد على أنها قضية وطنية، وتمس كافة فئات الشعب الفلسطيني، وهي في جذورها، مثلما جرت مصادرة الأرض في الفيلم، قضية أرض محتلة. فالصراع في نظري ليس صراع الإسلام ضد اليهودية، وإنما صراع الشعب الفلسطيني ضد الاسرائيليين.

هل يحمل الفيلم رؤيتك الخاصة للصراع، تغلق (أم حبيب) باب مقهاها وهي تقول: <بره في مشاكل>. هل الأمر مجرد مشاكل؟ و<زهقت الاسرائيلية والفلسطينية>. هل تضعين الطرفين في نفس الكفة؟

شخصية أم حبيب تحمل رؤيتي للشعب الفلسطيني. فهي ترمز للروح الفلسطينية، وللمرأة الفلسطينية القوية المكافحة، والتي لا تخشى المواجهة، وفي نفس الوقت هي الممتلئة بالحياة والباحثة عن الحب. وهي أكثر الشخصيات التي أحببتها، وقد استلهمتها بالمناسبة من امرأة فلسطينية، تدير مقهى في مخيم قلنديا، ذات شخصية ملفتة بقوتها.

العبارات التي قالتها (أم حبيب)، كانت تعليقا على الأخبار الواردة من الراديو حول مباحثات السلام، والكلمات المستهلكة مثل الشجب والإدانة... الخ. وفي نفس اللحظة، كان الجنود ينتشرون في الخارج. هذا كان تعبيرا عن تردي الحال في الداخل، وعن الإنهاك النفسي والمادي الذي يعانيه الناس هناك، لقد تعبوا من الكلام المستهلك والفشل الدائم، وتعبوا من الاحتلال وفقدان الأمل، لأنهم بشر ببساطة، ومن حقهم عيش الحياة مثل كل البشر. لم يكن ثمة موقف سياسي بالمعنى الذي أشرت إليه أبدا.

لغة الفيلم السينمائية بدت هادئة، واتسمت بمقاربات غربية، والبعض يقول أن بعض المشاهد في جرأتها نسبيا، وغير المألوفة في السينما الفلسطينية، كانت لحسابات المشاركات الغربية وغير ذلك. ما رأيك؟

ما هو مفهوم اللغة السينمائية لدينا؟ هل السينما مجرد تأثير واحد، أو أسلوب واحد؟ هل المطلوب مني أن أشتغل دائما على الصراخ والثرثرة لأتناول القضية. وهل تعد هذه ميزة أم عيبا تتسم به السينما العربية أو على الأقل معظم الأفلام المنتجة حتى الآن؟

الأمر بالنسبة لي مجرد أسلوب سينمائي، لم أفكر بمقاربة سينما الغرب، او تقديم ما يناسبهم ليصفقوا لي، الجمهور الغربي ليس هدفا لي. كل ما فكرت به هو صناعة فيلم يعبر عن أفكاري، سواء شاهده العرب أو الغرب، لم يكن هناك ما يجبرني على وضع ما يتعارض مع أفكاري لأكسب الغرب، ومع ذلك، فحين عرض الفيلم في المهرجانات العديدة في أمريكا وأوروبا، لاقى صدى طيبا، والصالات كانت تمتلئ بالجمهور، أما على مستوى تقنيات الأسلوب، فهذا يعود للمؤثرات الخاصة بي، أسلوبي الفني باعتباري خريجة جامعة أمريكية ربما حمل ملامح مختلفة قياسا بأسلوب مخرج درس السينما في مصر مثلا. هذه التصنيفات كلها لا تعنيني.

تميز أداء الممثلين بالصدق والعفوية، على ماذا اعتمدت في رؤيتك الفنية لأداء الممثلين؟

بشكل من الأشكال كانت لديّ بالتأكيد رؤيتي الفنية تجاه الأداء التمثيلي، ولكن لا أستطيع الحديث عن أسلوب خاص في الإخراج. فهذا فيلمي الروائي الأول. تصوري

romman.saleem@gmail.com

للأداء ارتبط بتجسيد حياة واقعية، لذلك اعتمدت على فكرة الحديث. كنا نتحدث كل يوم، نجلس جميعا وأطلب منهم ان يتحدثوا، ولكن دون الإخلال بالسيناريو. اشتغلت من خلال الحديث على إبراز التفاصيل في شخصيات تحيا حياتها اليومية، وصولا إلى أداء واقعي يتلاءم مع أجواء الفيلم. حين عرض الفيلم في مهرجانات اوروبية، كان أداء الممثلين أكثر ما أثار اعجابهم، ووصفوه كما قلت بالعفوية، لأنهم تمكنوا من الاحساس بالشخصيات، كانت قريبة منهم عاطفيا وانسانيا.

كيف قمت باختيار الممثلين؟ وهل كان اختيارك لياسمين المصري، الممثلة الفلسطينية المقيمة في لبنان لأداء دور (قمر)، لما يتطلبه الدور من جرأة نسبية، غير متاحة لدى ممثلات في مجتمع لا زال محافظا كالمجتمع الفلسطيني؟

لم يقع اختيارها ضمن مثل هذه الحسابات. ذهبت إلى عدة بلدان في مرحلة الإعداد بحثا عن ممثلين. كنت أفكر بممثلين عرب، في حال عدم توفر ممثلين فلسطينيين. وكان يهمني أيضا إجادة اللهجة. قمت بعشرات تجارب الأداء لممثلات في عمان، بيروت، لندن، وغيرها لا سيما وأن معظم الممثلات الفلسطينيات متوزعات على بلدان مختلفة. فهيام عباس تقيم في أمريكا، وياسمين المصري في لبنان. أعجبت بأداء ياسمين المصري، وأقنعتني بقدرتها على تقمص شخصية (قمر)، بالإضافة إلى لياقتها العالية ومهاراتها في الرقص، وهو ما يتطلبه الدور في الفيلم. فوقع الاختيار عليها. وبالتالي لم تكن تلك المسألة في ذهني.

معظم الأفلام فلسطينية يتم إنتاجها بتمويل خارجي، أوروبي على الخصوص. ما رأيك بتلك الأفلام؟ هل ترين أن الأفلام الفلسطينية كانت ستنال ذلك الاهتمام العالمي لو لم يقف خلفها تمويل أوروبي؟ وهل نجاحات السينما الفلسطينية نابعة من المستوى الفني للفيلم أم من موضوع القضية؟

فيلمي تم إنتاجه بتمويل عربي وفلسطيني بنسبة ٨٠ <والباقي كان أوروبيا. بالنسبة لي فأنا لا أفضل التمويل الخارجي، حتى أظل حرة في اختيار موضوع فيلمي، وفي أسلوب تنفيذه، وحتى في آليات بيعه وتوزيعه وعرضه. هذه المسائل كله قد يتدخل فيها الممول. لهذا لا أحبذه. اما بالنسبة لتجارب الآخرين من السينمائيين الفلسطينيين، لدينا بالطبع مخرجون مهمون، عملوا بتمويل أوروبي، مثل ميشيل خليفي وايليا سليمان وهاني ابو اسعد. هؤلاء أسماء كبيرة في السينما الفلسطينية، أصبحت معروفة عالميا، لما قدموه من اعمال مهمة، حيث نجحوا في تقديم القضية ومعالجتها بمستوى فني رفيع، وبالتالي قاموا بخدمة القضية، كما أسسوا لحضور اسم فلسطين إبداعيا في السينما العالمية، رغم التمويل الاجنبي. ولكن هذا لا ينفي وجود البعض ممن عمل بتمويل أجنبي دون تحقيق نجاح يذكر، سواء بالنسبة لرصيد السينما الفلسطينية أو بالنسبة للقضية.

هل تؤمنين بدور وظيفي للسينما؟ وهل تقدمين ما يمكن تسميته بسينما القضية، أم تسعين لتقديم أنماط مختلفة من الأفلام شكلا ومضمونا؟

بشكل أساسي أنا من المؤيدين لمفهوم السينما للسينما، ولكننا نعيش في منطقة تحتم علينا معالجة كثير من القضايا وتسليط الضوء عليها، إذا ما كنا مؤمنين بدور للثقافة والفنون في التغيير، لكنني أتمنى أن أتمكن يوما ما من تقديم سينما وحسب، بما تتضمنه من اهتمام خالص بالشكل والجماليات البصرية. عندما فكرت بالفيلم، كانت البداية بسيطة، وتتمثل برغبتي في أن أحكي قصة، فأنا أحب القصص، وأردتها أن تكون قصة بشكل جميل سينمائيا. أما مقولة الدور الوظيفي للسينما، فلست مؤمنة بها أبدا، وأرفض أي مضمون مهما كانت أهميته، إذا كان على حساب الشكل الفني، وبخلاف ذلك لا يمكن تسمية ما يقدم بأنه سينما.

أنا مخرجة سينمائية فقط، ولا أحب أن أصنف، ربما يدور فيلمي المقبل حول فكرة إنسانية مختلفة تماما، لا أدري.

ضمن تجربتك السينمائية، ومشاركاتك في عدة مهرجانات عربية وعالمية، كيف تقيمين تأثير السينما على فهم العالم لقضيتنا؟

التأثير ملموس ويتضاعف يوما بعد يوم، كلما ازداد نشاطنا السينمائي حول العالم، مما يعزز فرص التقارب بيننا والشعوب الأخرى، ويساهم في فهم قضيتنا بشكل أوسع، وهذا ما نلمسه كسينمائيين في المهرجانات المتعددة، التي تقام اليوم في مختلف أنحاء العالم، للسينما بالتأكيد دور إيجابي كبير، خصوصا مع وجود سينمائيين فلسطينيين وعرب، حققوا مكانة مرموقة عالميا.

ودعيني أركز هنا على أن ما ذكرت يرتب مسؤولية على المجتمعات العربية لدعم السينمائيين والفنانين بشكل عام، فلن نتمكن من مواصلة العمل دون وعي المجتمعات بأهمية السينما الخارجة منها، فنيا وثقافيا واجتماعيا، وتلقينا دعمهم بمشاهدة أعمالنا. اتمنى ان ارى أفلامنا تحل بديلا عن أفلام هوليوود التي استهلكت ذاتها، ولم تعد قادرة على تقديم أية قيمة فنية أو إنسانية.

[1]

عن القدس العربي

أديب قدورة.. ثمة خيول لا تشيخ أبداً

ماهر منصور

لم يكن ظهور الفنان أديب قدورة في الحلقة الأخيرة من برنامج «أنت وجمك» عابراً، فالحوار معه والذي لم يختلف من حيث الشكل عن حلقات سابقة مع فنانين آخرين، ما كان ليمر بسلام وقد أغرورقت عينا الرجل بالدموع وهو يستعيد ذكريات طفولته في قرية «ترشيحا» في فلسطين وتالياً سنوات اللجوء والتشرد ومكابدات الوجع الفلسطيني.

لم يكن أديب قدورة في الحوار مجرد فلسطيني حالم يقف على شرفة ذكريات الحنين بالكلمات والدموع، بل حمل في حواره أيضاً غصة الوسط الفني السوري الذي عامله كما تعامل الخيول حين تشيخ. فالفنان قدورة كان حتى وقت قريب الرقم الصعب في السينما السورية حتى لُقب بفتى الشاشة السورية، وهو واحد من نجوم بواكير الدراما التلفزيونية السوري، وكان من المقدر أن ينتقل الفنان قدورة كما أبناء جيله إلى نموذج جديد من الأدوار الدرامية التي تتناسب وعمره الحالي، إلا أن فورة الدراما السورية في تسعينيات القرن الماضي جافته كما جافت العديد من رواد الدراما السورية الأوائل، فتركت البعض على رف الذكريات، وحصرت الجزء الثاني في دائرة محددة وباهتة من الأدوار التلفزيونية، لتكتفي بعدد قليل من أبناء الجيل الذهبي للدراما.

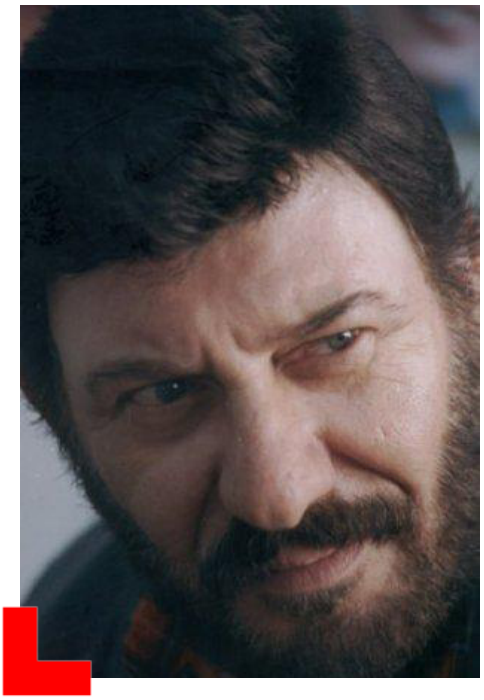

وسط هذا الواقع من الجفاء كان الفنان أديب قدورة يحاول ملكاً. حاول الرجل ان يساير الانتاج الجديد من الدراما والشرط الدرامي الباهت الذي أحيط به أبناء جيله، الى أن تعرض لإصابة في أحد أعماله منذ نحو ثلاثة أعوام أثناء تصوير مشهد ليلي، الأمر الذي أقعده في البيت بينما قررت الشركة المنتجة حذف ما قام بتصويره من قبل واستبداله بممثل آخر! ومع إصابته انتقل أديب قدورة إلى موقع الخيول عندما تشيخ... إلى جانب أسماء كثيرة يستطيع المرء أن يحصيها عندما يتابع أعمال السبعينيات ويبحث عن أبطالها في أعمال جديدة ولا يجد أياً منهم، ليدرك بعدها أن الفنان أديب قدورة ليس الوحيد الذي أصابته حالة الجفاء، وربما قلة الوفاء من أهل الدراما الجدد تجاه جيل أسس للدراما السورية وواجه ثنائية الجوع والاستنكار المجتمعي له لتصل الدراما السورية إلى ما وصلت إليه الآن.

ربما يكون كسل البعض من جيل التأسيس هو ما ساهم في ابتعادهم لاحقاً عن استحقاقات الدراما السورية الجديدة، وربما قلة موهبة البعض الآخر ساهم في ذلك أيضاً، إلا أن كثيراً من الأسماء الفنية من ذلك الجيل يتم تغييبها اليوم قسراً، إذ كيف يمكن لفنان مثل أديب قدورة بحضوره التمثيلي المميز الذي تشهد عليه جوائزه في كل من مهرجان لوكارنو في سويسرا وكارلوفيفاري والمهرجان السينمائي السوري الأول لسينما الشباب... كيف له أن يغيب عن قائمة نجوم الدراما السورية اليوم؟ والسؤال ذاته ينسحب على فنانين آخرين.

ربما العيب يكمن في النصوص الدرامية التي لم تستطع إيجاد أدوار تمثيلية تستوعب كل أبناء الجيل القديم، لكن إسناد أكثر من خمسة أدوار في خمسة مسلسلات لاسم واحد من ذلك الجيل في موسم واحد تترك إشارة استفهام عريضة، فالقصة لا تعود غياب الجيل القديم بل تغييبه!

بكل الأحوال، حرك ظهور الفنان أديب قدورة الماء الإعلامي الراكد تجاه أبناء جيله، ولعل توقف الكثيرين عند كلامه في برنامج «أنت و'جمك» كان كفيلاً بتعزيز قناعة بأن ثمة خيولا لا تشيخ أبداً، وإن كبت قليلاً فهي تنام واقفة.

عن السفير

جفرا.. لغاية في نفسها

مروان عبدالعال

أزفّ إليك النبأ...الذي ينبجس من مسام جلدي، بأنّك وحدك جفرا، أسطورتي المستحيلة. لقد جرى في عبق الرماد أحزانٌ كثيرة، لذا لن أغرس رأس الرمح في الرّمال وأكرّر قول همنغواي : « وداعا أيها السلاح! »

أمتشق قلمي لأكتب: وداعاً أيّها الصّمت، أطلق رصاصي حبراً مراً على لعنة السّكوت، لقد طالت إقامته الكئيبة في فمي.. آن له أن يرحل، عندما تطل جفرا بعشقها الفلسطيني وبوجهها الأبنوسي بعطر طينيّ الشذى، جبلته حكاية عينات الكنعانية أم الأرض حين أخصبت بأنوثتها جلالة الجليل وتناثرت حبّاً يشدّ عنق المساء كي يترجل.

جفرا تبعثر أقدامها في البراري بحثاً عن بقلة خضراء، وتعود للمساء كي تروي «خراريفها» كترنيمة تسلبني كغفوةٍ بين تجاعيد وجهها، وكمداتٍ توزّعت على ظهر كفّها، ووشم يعانق قمرها ويستريح معها في خطوطٍ تعرّجت على جبينها، فشحب لونها كأنّما اختطفها من حضن الطّريق حذوة حصان حديديّة.

منذ زمن وهي تنام وتستيقظ بين أجفاني المتعبة... تتجدّد داخلي في دروب العزلة وتغوص عميقاً في منفى يلاحقني كدوّامة من الجنون، وينخلع من النّهارات الطويلة، والمساءات البعيدة. تطلّ جفرا بين الوجوه الواجمة، بين وشوشات الأطفال، واستراق النّظر من أعين النّساء في الوجوه المقطّعة داخل الأزقة الرّطبة، تطلق بشارة عرس على أسطح المخيّم وينتابها الحلم الذي غزل ثوب الفرح كزهرات البنفسج..

لأجل حبّك كلّلتني الأشرطة الشائكة، وعبرتني الحواجز وقطّعتني الجدران، وفي سبيلك يستسلم الظلّ أمام الضّوء كي ينبعث في شهب حرية من عينيك، ليبقى السفر يكرّر الإفلات من قبضة الوداع، وتنشد أقدامنا الرّجوع ثانية، إلى وادٍ لا يشبه غيره، وزادٍ صار قصّة تروى ولا تتكرّر، وحضن عاشقٍ ظل كالمستحيل، ومساء سقط عليه مطر لا يشبه ما قبله، في وطن ليس ما بعده، حين يستلقي دمعك فوق الوجنتين، وتبلغ نشوة أنفاس ماء العينين، أنه لن يشبه سوى حريّتك في الحلم الذي تفوّق شغفاً على ما بعده.

ترجعين ثانيةً عندما تولدين كلّ ثانية، مثل حكايتك التي ولدت في أحشاء قلبي يوماً ما، في مكان تحوّل إلى مكانة، وفي لحظة ليل لا يشبه ما قبله، بل ما بعده، لن يكن يتيماً بين المساءات، ولم يعد يملّ الإشراق أبداً، يسطع في مرآتي التي غسلتها ومضاتٍ مرتعشةٍ في بؤبؤ بلون القهوة العربية، يشير نحو الإتجاه المستحيل... والأجمل.

أكتب ولادتك فيسقط القناع الأسود عن عينيك، وينسحب الغموض تدريجياً من ساحاتِ وجهك، صراع مرير بين وجع وحلم، حين نستطيع أن نقبض على نورك السريّ اللون، والسّحريّ الطّعم، على أهازيج الجفرا وهي ترقص مثل نحلةٍ ذهبيةٍ في بيادر عينيك، تتمايل مع السّنابل كأنّها ينبوع يترقرق في مرج مقلتيك.

على وقع المساء اختلط الدّمع كلوحةٍ مائيةٍ، تنساب كزهر الحنون في رياح الخماسين، ينبعث صدى لحن عذب مثقل بالجراح كي يداعب أوتارنا النائمة، يصدح مثل نشيد الرّوح وبين اضطراريين، من أمامنا ومن خلفنا، نقتلع بقوّة الاضطرار ونظلّ شتات الإضطرار الطويل في مسيرة الفراغ الدائم .

المفرّ على قارب ينقلب بين وسادتين، واحدة انتشت خمراً من جبال الأحزان، فغادرت الرّطوبة أطرافها الباردة، وأخرى ارتوت بدمع ليليّ تجمّع في وادي الجنون، لتحترق بغربة من نار، تصول في ممرّات الأوردة الضّيقة.

ذات مساء قريب، استعادت جفرا روحها مع مطرٍ ينقر على زجاج النافذة، امتشقت بعطشها ذاك الخاص المشتهى فكان جنينها يلعب « الغميضة » مختبئاً في الطرقات المسيّجة بمتاهات لا نهاية لها ولا هدف.

وجدت نفسها قبل أن أجدها! عثرت على رمشها مقيّداً في بيتِ عنكبوت، احتلته الخيوط القاتلة لزمن ما، وقيّدته في زاويةٍ معتمةٍ داخل زجاج القلب الصّغير .

ما قبل المساء، كانت جفرا الهاربة من نفسها إلى ضياعها المتواصل، أبكي حيرتها في نحيب مخيف كأنّه عواء ذئب ينهش في خلايا الرّوح، جائعاً في غابةٍ مقفرة، أرعبني ضلال الملائكة، وصلاة العفاريت في محراب الفراق، فبتّ قعيداً يعدّ الدقائق لعودتها . لا ملل في العشق يا جفراي، ولا حتى إذن مسبق في الكلام، هو ذاك البوح الذي يندلق كشلّالٍ من قمّة عاليةٍ نحو منحدر يتعطّش للخصب.

بعد جفرا، أن أكون وفيّاً لسرّها الجميل وهائماً كنيزك يسبح في فضاء هلاميّ يقيم فيها ولو غابت، ويحضر لها ومعها حاملاً حقيبته اليومية المليئة بالحكايات، كي يقصّ على مسامعها سيرة الثّورة الأولى وهي تأبى النّزول من علياء المكان .

أحتفي بجفرا زفافاً مخضباً بالحب وحاداً كنصل السيف، أحاول أن أقطع وريد الهجر وأزجّ عنق الصّمت، كي تبقى رمز العطاء والجمال والثورة، والذاكرة والقلب الغير قابل للكسر.

أعطتني شفافية قلبها، فرصدت بعناية كلّ حركته الساكنة . باح الكبت بدقّات قلبها فلم أكتب إلاّ اختلاجات الضّياع . ومعاً نسير على درب الحلم كي يصير ممكناً، علّنا نعثر على لغزنا الواحد، إن لم يكن في السماء، فهو حتماً فوق الأرض أو تحتها، ستبقى تسكن بغير بلد وتستوطن كل القلوب، حتى نعثر على أنفسنا، وندلي بأحلامنا على كرسيّ الاعتراف، في هيكلٍ قدسيّ.

جفرا... كم يشبهك المخيّم فدائياً، يفرّط بالعشق ولو قليلاً، وبالانتظار والصّبر كثيراً، وما تطرّف في الغناء وأدمن القتال إلا كثيراً، ذاك الضّحية الشّاهد على الفقدان، لأنه يهفو إلى وطن الجفرا ... جليلها حريّ بفخامة الشوق وجلالة التعب، وبأنّنا ما زلنا معاً، يحتوينا الموج الأزرق، يوم لفظتنا المدن و غادرنا الغربة القديمة الى غربة جديدة، وخيمة من خيط الكتان الى اخرى من حديد برّاق وأكثر حداثة، مثقلين بالأسماء العادية والحركيّة لنصير أرقاماً وأحرفاً ورموزاً أجنبيّة، وخطوطٍ مائلةٍ تقطع نسيجنا بكل ما في الكلمة من ألفة .

عذراً يا جفراي، تلحّ ملائكتي عليّ بأن أغفر الخطيئة، طقوسك التي فككتها، خلّلت معها كلّ الرّواسب الكلسيّة العالقة على ضفافي المتصدعة، يوم كان التاريخ ينام على وسادة الفراق، ومحكمة القلب تمنحك البراءة من دم الوقت المهدور، فالمساء يعيد ترميم شظاياه المبعثرة ساعة التماس الحنين .

أنا أنهيت الحكاية مؤقتا، لكنّي مازلت أرتكب «معصية» عشق الحرية و«جناية» الحلم بكامل ما في الإنسانية من معنى، لن أرحل عنك بعيداً، حتى أجيب عن سؤال محوري : من الأقوى في «المبارزة الكبرى» الإرادة أم الحلم ؟ ولمن ستكون الغلبة ؟ وعدك سيتجدّد في السؤال الشائك و درب الإجابة الشاقّ ..وإنّي لن أرهن الحلم المستحيل لوهم اسمه الممكن .. وأن أهرب من السؤال إن استعصى عليّ الجواب .

سأبقى على الدرب والوعد والسؤال.

هو وعد جفرا، لغزها الجميل الذي لن يسقط في قبضة الغياب، نعثر عليها ...على وعدها ولغزها...نعثر يوما على عشقها وحلمها، ولكن الاجمل ان تعثر هي على الغاية التي في نفسها وفي نفس كل واحد منا

بمناسبة توقيع رواية جفرا... لغاية في نفسها

الزنابق البيضاء...

الياس خوري

ل رأى احد جنديا خارجا من المعركة وهو يحلم بالزنابق البيضاء؟

محمود درويش رآه، وكتب عنه قصيدة مفصلية في تاريخه الشعري. اما انا فكان عليّ ان انتظر اربعين عاما كي التقي بالرجل، بعدما خلع عنه لباس الجندي ولبس ثوب المؤرخ.

رأيت الزنابق البيضاء، ورأيت كيف يقاتل الجندي السابق دفاعا عن الحقيقة، وكيف لا يزال الرجل الستيني قادرا على اختراع معجزة الصداقة.

كان ذلك في بروكسل، مساء الاثنين ٧ كانون الاول (ديسمبر) ٢٠٠٩. وقف المؤرخ الاسرائيلي شلومي ساند في قاعة «الهال»، كي يدافع عن كتابه «اختراع الشعب اليهودي»، وكانت زنابق محمود درويش تحتل المكان.

منذ عامين، تحدثت مع ليلى شهيد عن مقال صغير لتوم سيغيف قرأته في الطبعة الانكليزية من صحيفة «هآرتس» الاسرائيلية، يتحدث فيه عن مؤرخ اسرائيلي أصدر كتابا بالعبرية عن اختراع الشعب اليهودي ويدعى شلومو ساند. انتفضت سفيرة فلسطين في بروكسل وصرخت: شلومو! انه صديق محمود درويش وبطل قصيدة الجندي الذي يحلم بالزنابق البيضاء. وروت ليلى حكاية الاتصال الهاتفي بين درويش وساند الذي تم من خلال هاتفها المحمول، وكيف فاجأها درويش برواية حكاية القصيدة التي كتبت عام ١٩٦٧.

في نيويورك روى لي المخرج ايلان زيف، انه اتصل بشلومو ساند، وانه سيذهب الى لقائه كي يعد فيلما انطلاقا من الكتاب. طلبت من زيف ان يسأل المؤرخ عن حقيقة علاقته بدرويش، وعن حكاية القصيدة. عاد المخرج من رحلته واهداني الكتاب الذي صدرت ترجمته الفرنسية. قرأت مقدمة الكتاب، التي تروي بشاعرية مدهشة وجميلة فصولا من سيرة المؤلف الذاتية، حكاية عن والده شوليك الذي ولد في لودز في بولونيا ودُفن في اسرائيل على ايقاع النشيد الأممي، وحكاية اخرى عن والد زوجته برناردو الكاتالاني الذي ولد في برشلونة وقاتل مع الفوضويين والجمهوريين في الحرب الأهلية الاسبانية، ومات في اسرائيل التي رفضت الاعتراف بأنه يهودي. ثم يروي عن صديقين فلسطينيين، الاول يدعى محمود من مدينة يافا انتهت به الايام الى الاقامة في السويد والثاني يدعى ايضا محمود وهو شاعر شاب سوف يتحول الى الشاعر الوطني الفلسطيني. يروي ساند عن مشاركته كجندي اسرائيلي في احتلال القدس الشرقية، وكيف اطلق النار وقام بإهانة المدنيين. قال انه اراد ان يلتقي بصديقه الشاعر قبل ان يغادر اسرائيل نهائيا. قال انه زار درويش في حيفا بعدما اطلق سراح الشاعر الذي اعتقل خلال حرب حزيران (يونيو) ووصف اللقاء بالكلمات التالية:

«قضيا ليلة بلا نوم امتزجت برائحة الكحول والدخان. حاول الشاعر اقناع الشاب المعجب به بأن يبقى ويقاوم، بدلا من الهرب الى مدن غربية والتخلي عن وطنهما المشترك. لكن الجندي عبّر عن يأسه ورفضه للمناخ الانتصاري وغربته عن الأرض التي اهرق عليها دما بريئا. في آخر الليل، تقيأ الجندي. ظُهر اليوم التالي أيقظه الشاعر وقرأ له ترجمته لقصيدة كان قد كتبها مع خيوط الفجر الأولى:

يفهم، قال لي، إن الوطن
ان احتسي قهوة امي
ان أعود في المساء...
سألته: والأرض؟
قال: لا اعرفها»

تنتهي المقدمة بحكاية طالبتين: جيزيل التي قررت الهجرة الى اسرائيل من فرنسا لكنها رفضت اعتناق اليهودية من جديد لأن أمها ليست يهودية، ولاريسا الفتاة الاسرائيلية التي سجل في قيد نفوسها انها روسية...

حكايات مقدمة الكتاب ساحرة في قدرتها على تجسيد المناخ التراجيدي الذي صنع كتاب شلومو ساند. وفيه نفهم ان اعادة النظر الجذرية في السردية الصهيونية قد تشكل مدخلا لفهم تاريخ الصراع على أرض فلسطين في شكل جديد، وأفقا محتملا لسلام لا يطيح فكرة العدالة.

عندما التقيت ساند، كنت متلهفا الى سماع حكايته عن القصيدة، لكنه بدلا من ان يروي قال ان محمود درويش يقع في مكان ما من خلفية هذا الكتاب. «أردت ان اقول لدرويش انني لم اتخلَّ عنه».

روى الرجل الحكاية مرتين على الأقل. ورأيت كيف يروي ابطال الحكايات عن انفسهم، كأنهم يقلدون ما كُتب عنهم او ما كتبوه هم انفسهم.

اردت ان اسأله هل قال الأشياء كما كتبها درويش في قصيدته، لكنني لم افعل، كي لا انساق الى ما يشبه السذاجة التي يسببها الانفعال، ولأنني اعلم ان الذاكرة الفردية مصنوعة من ترجرج ثقوب الزمن. وهذا ما اكده ساند بنفسه حين روى انه حين ذهب الى زيارة درويش في منزله في وادي النسناس، في ليلة القصيدة، كان برفقة صديقته، وان ليلة الجندي كانت أيضا ليلة الغواية المستترة، التي صنعها الشاعر. لكنه في رواية ثانية قال انه لم يعد يذكر هل رافقته صديقته في تلك الليلة أم في ليلة اخرى.

وقف ساند على منصة قاعة «الهال» في بروكسل، وقدم مرافعة كبرى عن كتابه الذي يخلخل الرواية الصهيونية برمتها، ويحطم فكرة الشعب اليهودي، منطلقا من تفكيك مقولة المنفى وبيان بطلانها، لأنها تفتقد الى اي برهان تاريخي، ومستنتجا ان اليهود لم يغادروا أرض كنعان، جلّ ما في الأمر انهم تنصروا وأسلموا. أما الجاليات اليهودية في اليمن وشمال افريقيا وأوروبا الوسطى فهي نتاج التبشيرية اليهودية، التي استطاعت تهويد مملكتي حمير والخزر، وتهويد القبائل البربرية في افريقيا الشمالية.

يلتقي ساند مع ما اطلق عليه في الأدب الاسرائيلي اسم التيار الكنعاني، ويقرأ الحركة الصهيونية في وصفها حركة قومية كلاسيكية، صنعت الشعب واخترعته، مستندة الى الفكر القومي الأوروبي، و بهذا المعنى فان قانون العودة الاسرائيلي لا يستند الى اي مسوّغ تاريخي.

مقولات ساند تذهب الى المحرم وتفككه، وهو بهذا ينقل النقاش التاريخي الاسرائيلي من اطار المؤرخين الجدد الذين كشفوا وقائع النكبة والطرد المنظم عام ١٩٤٨، الى افق جديد قوامه اعادة نظر جذرية في المسلمات الصهيونية واخضاعها لمحاكمة تاريخية جذرية.

تلميذ بيار فيدال ناكيه وصديقه الذي جرؤ على نقد فيلم «الشوا» لكلود لانزمان، الذي يُعد ايقونة صهيونية لا يمكن المساس بها، قال انه سيعود الى باريس، وانه سيذهب في العام القادم للعمل في مونتريال.

روى عن الحصار الاكاديمي الذي يتعرض له، وقال انه يائس.

«لكن الذي حلم بالزنابق البيضاء يوما، لا يحق له ان ييأس»، قلت.

ابتسم الرجل وعانقني مودعا، لكنني من شدة انفعالي نسيت ان اسأله ماذا جرى للجندي في الاعوام الاربعين التي تلت كتابة القصيدة؟

لكن تلك حكاية اخرى.

الجندي في آخر الليل!

صدر ديوان «آخر الليل» لمحمود درويش عام ١٩٦٧ في الجليل، وقامت دار العودة في بيروت بإعادة طباعته، مثلما كانت تفعل مع جميع النتاجات الشعرية والأدبية الفلسطينية التي كانت تصدر في الأرض المحتلة. ولسبب اجهله قام الناشر بتغيير عنوان الديوان عبر اضافة كلمة اليه، فصار الديوان يحمل عنوان «آخر الليل... نهار». وعندما جاء درويش الى بيروت وعمل معنا في مركز

romman.saleem@gmail.com

الأبحاث الفلسطيني. كنا نمازحه بالسخرية من اضافة كلمة نهار التي تدمر استعارة العنوان. وكان الشاعر يكتفي من الجواب بالسخرية من الناشرين.

غير ان اهمية هذا الديوان هو ادخاله شخصية ريتا الى المتخيل الفلسطيني. عبر قصيدة <ريتا والبندقية>. اسم ريتا سوف يتكرر في دواوين درويش. كي تكون آخر تجلياته قصيدة: <شتاء ريتا الطويل>. في ديوان <احد عشر كوكبا> بينما ستبقى شخصيتها ماثلة في جميع دواوينه اللاحقة. وخصوصا في <سرير الغريبة>.

لا شك ان الشخصية التي بلورها درويش هي لفتاة اسرائيلية. وهو صنع بذلك مبنى اسطوريا للحب المستحيل. من دون ان يضطر الى كتابة تفاصيله. وحين اعددت بحثا عن هذه الشخصية. وقمت بتحليل احد اعمق تجلياتها في قصيدة <عندما يبتعد> في ديوان <لماذا تركت الحصان وحيدا>. توقفت عند صفة العدو. التي يطلقها الشاعر على والد الحبيبة. ثم لفت احد طلابي في جامعة نيويورك نظري الى واقع ان درويش لم يستخدم كلمتي اسرائيل واسرائيلي في جميع نتاجه الشعري.

سألت الشاعر عن المسألة فأجابني ان الشعر لا يعترف بما قد تعترف به السياسة. وان استخدام الكلمتين يعني الاعتراف بأننا قد فقدنا الوطن.

قد يبدو هذا الكلام متناقضا او شكليا. وهنا يقع الخطأ. فالتجربة الدرويشية تحمل في داخلها حسا فلاحيا لا يخطئ. هو حس الانتماء الى الأرض. كما تحمل بعدا انسانيا يتجاوز الهويات الجامدة. واضعا المأساة الفلسطينية في سياقها الكوني.

امتزج هذان الحسان في التجربة السياسية المعقدة التي خاضها درويش. من خلال عضويته في الحزب الشيوعي الاسرائيلي. ثم من خلال عمله في اطر منظمة التحرير وصداقته الشخصية لياسر عرفات. وقيامه بكتابة اعلان الاستقلال الفلسطيني. الذي هو اهم نص سياسي انتجته المقاومة الفلسطينية. لكن تجلياتهما الكبرى ظهرت في شعره. حيث تجاوز المتوقع وخلخل السائد.

روى لي شلومو ساند حين التقينا في بروكسل. ان درويش قاطعه حين انسحب من الشبيبة الشيوعية. لينضم الى منظمة ماتسبن اليسارية المتطرفة. وان الشاعر تصرف معه بالطريقة الكلاسيكية التي كان يتصرف بها الشيوعيون مع من يغادر الحزب.

<لكنه غادر الحزب عام ١٩٧٠>. قلت له.

<بل وغادر البلاد ايضا>. قال.

في مقدمة كتابه <اختراع الشعب اليهودي> روى شلومو ساند عن نيته مغادرة البلاد. وعن اتفاقه مع صديقه الفلسطيني محمود الذي صار عاملا في تركيب المصاعد في السويد على ذلك. كما روى انه في ليلة القصيدة ابلغ محمود الشاعر عن نيته في القيام بذلك. لكن الشاعر حاول ان يثنيه عن الهجرة.

تنتهي الحكاية بمغادرة المحمودين الى المنافي وببقاء الاسرائيلي في تل ابيب. لكن ليست هذه هي المسألة الآن. المسألة هي صورة الجندي في القصيدة الدرويشية.

لا شك ان شيطان الشعر. يعطي الشعراء جسارة هائلة. والا كيف نفسر جرأة درويش على كتابة حكاية جندي اسرائيلي يصف قتلاه من العرب والفسطينيين. وكيف استطاع ابن فلاحي البروة ان يجعل من قصيدتي <ريتا والبندقية> و<جندي يحلم بالزنابق البيضاء> صدى لمتوالية <ازهار الدم> عن مجزرة كفرقاسم؟

هنا يبرز التفوق الاخلاقي للضحية الذي صنعته التجربة الأدبية الفلسطينية من خلال اصواتها الكبرى: كنفاني. سعيد. حبيبي ودرويش.

كتب درويش قصيدته على شكل حوارية. حيث رسم مناخ الحوار وسط دخان السجاير وكؤوس الخمر. ونجح في تحويل الكلام بين صديقين الى لحظة شعرية مأسوية.

تبدأ القصيدة بالحلم الانساني البديهي: <يحلم بالزنابق البيضاء/ بغصن زيتون.../ بصدرها المورق في المساء/>. تأتي الحرب لتبدد الحلم. فالجندي الاسرائيلي خاض معركة القدس عام ١٩٦٧. فتجسد حلمه على شكل بندقية. <وسيلتي للحب بندقية/ وعودة الأعياد من خرائب قديمة/ وصمت تمثال قديم/ ضائع الزمان والهوية>.

لكن الشاعر لا يكتفي بهذا الكلام. فيطلب من الجندي ان يصف قتيلا واحدا. هنا يمتزج الصوتان ويتماهى القاتل بالقتيل. وصف القتيل هو لحظة الذروة في القصيدة. فيها يتحول الموت العربي صورة لعناق الأرض. <كخيمة هوى على الحصى/ وعانق الكواكب المحطمة/ كان على جبينه الواسع تاج من دم/ وصدره بدون اوسمة/ لأنه لم يُحسن القتال/ يبدو انه مزارع او بائع جوّال/ كخيمة هوى على الحصى ومات/ كانت ذراعاه/ ممدودتين مثل جدولين يابسين...>

قال الجندي انه سيغادر الى مدينة بعيدة. <ودعني. لأنه يبحث عن زنابق بيضاء/ عن طائر يستقبل الصباح/ فوق غصن زيتون/ يفهم. قال لي. إن الوطن/ ان احتسي قهوة امي/ ان اعود آمنا. مع المساء>.

اردت ان اقول لشلومو ساند ان الشعر اجمل من الحقيقة. لكنني لم اقل لأنني صرت اعرف ان هذه القصيدة كانت محاولة لتجسيد لحظة حقيقية عاشها بطلا الحكاية في ليلة طويلة في وادي النسناس.

حقيقة الحادثة لا تضيف الكثير الى دلالات القصيدة. فالقصيدة تشكل اختراقا للوعيين العربي والاسرائيلي. وترسم الملامح الأولى للمثنى الذي سيتحول في مرحلة النضج الدرويشية الى علامة كبرى في الشعر العربي المعاصر.

شلومو ساند انتظر اربعين عاما كي يجيب على اسئلة القصيدة. وكان جوابه كتابا اشكاليا يستحق ان يشكل فاتحة اعادة نظرية في الحكاية الصهيونية برمتها.

هكذا لم يحلم الجندي بالزنابق البيضاء فقط. بل جعل منها باقة على شكل كتاب. وبذا تكون الحكاية قد وصلت الى اكتمالها.

[1]

المقالان عن القدس العربي

خلال ندوة خاصة في لجنة المتابعة العليا: د. كبها: «الختيار» يكشف تفاصيل تاريخية جديدة ويضيء جوانب مجهولة

عقدت امس الأربعاء في مقر لجنة المتابعة العليا في الناصرة ندوة خاصة لمناسبة صدور كتاب «ذكريات ختيار لم تمت أجياله» للمناضل الشيوعي العريق توفيق كناعنة (أبو ابراهيم) في ٢٣٨ صفحة من القطع المتوسط. والتي يسجّل فيه صفحات هامة من تاريخ الجماهير العربية عمومًا وقريته عرابة البطوف على وجه الخصوص.

إفتتحت الندوة وتولت عرافتها الإعلامية مقبولة نصّار. فقالت: أبو ابراهيم ابن قرية عرابة ومناضل شيوعي منذ المراحل الأولى لوقوع شعبنا تحت الاحتلال. فاعل وحاضر حتى اليوم في كل محطات شعبنا النضالية ومجابهاتنا مع السلطة .

وأشارت إلى أهمية الكتاب للأجيال الجديدة التي لم تلمس ولم تشهد نوع الظروف والقمع ومحاولات التدجين اليومية التي تعرض لها شعبنا منذ النكبة وحتى اليوم.

وتحدث مدير مكتب لجنة المتابعة عبد عنبتاوي فأثنى على المناضل كناعنة. مشيرًا إلى أهمية هذه الكتابة الذاتية وإسهامها في كتابة التاريخ وكتابة روايتنا الجمعية. ذلك أن التاريخ ليس ماضيًا والذاكرة ليست ذكرى. وأكد عنبتاوي أن لجنة المتابعة كانت وستظل مفتوحة أمام ندوات من هذا النوع من مختلف التيارات الفكرية والسياسية.

توفيق كناعنة: المجابهة كانت مع الحكم العسكري وأيضًا مع نظام المختارة

وقدّم المداخلة المركزية المؤرخ د. مصطفى كبها. معتبرًا الكتاب مساهمةً قيّمة في مجال السيرة الذاتية. تتموضع خارج التيار العام للرواية الفلسطينية. إن كان هناك تيار كهذا. وقال إن ما يميز هذا الكتاب هو تداخل السيرة الشخصية للمؤلف بسيرة الحزب الشيوعي في البلاد. خاصة في مرحلة الحكم العسكري ويوم الأرض الخالد.

وأضاف د. كبها أن إحدى سمات السيرة هي التداخل وأحيانًا الخلط بين العام والخاص. مشيدًا بدقة المؤلف واعتماده مصادر وأرشيفات ومراجع تاريخية لا سيما صحيفة «الاتحاد». وقال إن المؤلف لا يخفي انحيازه للحزب ورواية الحزب. معرّجًا على ما أسماه «الصراع على بلورة الرواية التاريخية» قبل أن تولد بشكل متكامل. ومحاولات الانتقاص من وتجاهل الدور التاريخي للحزب الشيوعي في تلك المرحلة.

ولفت د. كبها إلى أهمية هذا المؤلف في تصوير الأرياف الفلسطينية في فترة الحكم العسكري. وبدء تكوّن شريحة من المثقفين في قرى مثل عرابة وغيرها. وأضاف أن الكتاب يكشف عشرات التفاصيل التاريخية الجديدة. مثل معتقلات العام ١٩٤٨ وحادث قتل الشاب من ميعار وغيرها. كما يضيء جوانب مجهولة ويقدم العديد من المواد الخام للمؤرخين والباحثين.

وتحدث المؤلف فتطرق إلى المحطات النضالية في الخمسينات والستينات. مثل النضال ضد ضريبة الرأس ١٩٥٤. وانتفاضة العام ١٩٥٨. ومجابهة نظام المختارة. ودور الحزب في بناء المؤسسات الوطنية من لجان واتحاد الطلاب إلى لجنة الدفاع عن الأراضي إلى اللجنة القطرية الرؤساء ولجنة المتابعة العليا.

وتحدث الصحفي رجا زعاترة مؤكدًا أن هناك أكثر من «تجاهل» لدور الحزب الشيوعي بين الجماهير العربية. بل هناك مشروع منهجي لتشويهه. يجب التصدي له. أيضًا من خلال مؤلفات كهذه

[1]

عن الإتحاد- حيفا

فيصل دراج

قبل مئة عام، أصدر الفلسطيني اللبناني المولد نجيب نصار جريدته الكرمل، مدشناً ولادة الصحافة الفلسطينية، التي ازدهرت قبل وعد بلفور عام ١٩١٧، وسقطت بعد ذلك، شيئاً فشيئاً، في الفوضى والولاءات الصغيرة. صدرت أهمية هذه الجريدة عن أسباب ثلاثة: فهي الأولى في تاريخ فلسطين، وهي التي امتلكت مطبعة باسمها في بلد لم يكن يعرف المطابع، وهي الصوت الأول الذي حذّر بوضوح مستمر غير مسبوق من جديّة ومخاطر المشروع الصهيوني.

من هو نجيب نصّار؟ توفي في ضاحية من ضواحي حيفا عام ١٩٤٨، وولد في قرية من قرى لبنان، ولم تشر «الموسوعة الفلسطينية» إلى تاريخ ميلاده. دعاه بعض مجايليه «شيخ الصحافة الفلسطينية»، ودعاه بعض آخر «أب فلسطين». لم يسعف اللقبان كثيراً الصحافي الفلسطيني ـ اللبناني، فقد مشى في جنازته «خلق قليل» كما جاء في الكتب، وسقطت عليه كآبة شديدة، وقد جاوز الستين، لأن «أبناء شعبه لا يقدّرون ماكان يفعله في محاربة الاستيطان اليهودي لسنين طويلة»، وهو ما قال به مؤرخ يهودي عرف نصار وتقصّى أخباره.

إذا كان مشروع جريدة الكرمل، التي عاشت ثلاثة عقود تقريباً، قد جاء في مكانه وزمنه الصحيحين، فإن صاحبها لم يعش في زمنه الصحيح. فلم يكن لمثقف حداثي مستقل، مارس المحاماة والصحافة والسياسة و الترجمة، مكان واسع في مجتمع تقليدي تنخره، إلى جانب أمراض أخرى، النزوعات الطائفية. ولهذا بدا نجيب نصار، وهو يحذّر من الصهيونية ومن سماسرة الأراضي، طائراً بلا جناحين، كلما رفعته إرادته الفولاذية إلى الأعلى شدّه «مجتمع المتزعّمين» إلى الأسفل. ولعل سعيه الطويل إلى نشر وعي عقلاني بالصهيونية في مجتمع فلاحي يؤمن بـ «الزعماء» هو الذي أعطى حياته شكل الملحمة: عني بالزراعة ودعا إلى زراعة حديثة. وترجم مبكراً ـ ١٩١١ ـ كتاباً دعاه «الصهيونية: تاريخها، غرضها، أهميتها»، جاء فيه أن الصهيونية تسعى إلى «السيطرة على بلادنا ومصادرة حياتنا»، وطالب بقيادة «صلبة ومخططات جريئة»، واعتبر التصدي للصهيونية واجباً عربياً، طالب به في مقالة نشرها في السابع من شهر حزيران ١٩١١. كان يقرأ الإنكليزية والألمانية والفارسية، وقام برحلة في فلسطين وشرقي الأردن ليتعرّف إلى أمراض مجتمعه وعلى هؤلاء الذين يجمّلون «البيوع»، وطاردته السلطات العثمانية وسجل ما جرى له في «رواية مفلح الغساني»، التي هي سيرة ذاتية مقنعة، قرأ من أجل كتابتها «مكتبة كاملة بلغة أمة شكسبير»، كما قال. غير أن ما أشهره لدى العقلاء تمثل في جريدته، التي كان يكتبها ويطبعها ويصحّحها ويوزّعها وحيداً، تؤازره زوجة متفانية فاضلة تصغره بعقود كثيرة. جاء في كتاب «تاريخ حيفا» لجميل البحيري الصادرة عام ١٩٢٢ ـ ونقلاً عن حنا أبو حنا ـ ما يلي: «الكرمل جريدة عربية تصدر مرتين في الأسبوع، واشتراكها في فلسطين ١٢٥ قرشاً مصرياً. أنشئت عام ١٩٠٩،... ، ومباحثها تدور حول الوحدة العربية وكتاباتها بهذا الشأن شهيرة. وقد عالجت القضية الفلسطينية معالجة أكسبت صاحبها اسم أب فلسطين ...». بعد سنوات قليلة من هذا الثناء ـ وفي عام ١٩٢٨ـ التقى نصار، صدفة، بالمؤرخ اليهودي في أحد شوارع حيفا، وشكا له بحزن كبير جحود شعبه واستخفافه به.

أدرك نصار، القصير القامة السريع الحركة الذي يضع طربوشاً مائلاً إلى الأمام على طريقة أهل بيروت، أن الخطر المحدق بفلسطين يأتي من إدارة استعمارية إنكليزية وعقل صهيوني فاعل وشديد الانضباط، ويأتي من وعي اجتماعي فلسطيني فقير يزيده المتزعّمون الفلسطينيون فقراً، لأنهم يقولون ما لا يعلمون ويقولون غير ما يفعلون ويوزعون القول والفعل وفقاً لاتجاهات الرياح ولا يكترون إلا بالغنيمة. وهذا ما كان يدفعه إلى لغة تحريضية عالية يخالطها الصراخ، وإلى عناوين تستنهض أرواح الذين يحسنون القراءة: «اقرأوها كلكم، استبدلوا، إلى الأمام أم إلى الوراء؟ كيف يُتّقى الخطر، المؤسفات، البيوع الكبيرة والكثيرة، الله أكبر أين غيرة الزعماء التي تظهر في تافه الأمور...». وعلى رغم رحلة مرهقة بين طيّات الغيوم فقد تكاثرت «المؤسفات»، وبقي المتزعّمون في صحبة «الغنيمة»، يغار كل واحد من نظيره، ويتركون الغيرة على فلسطين إلى يوم سقوط فلسطين، حين آثر الصحافي العجوز الرحيل والانصراف النهائي إلى الراحة.

ربما كان من المفيد، وهو مجرد احتمال على أية حال، أن يتوقف القارئ أمام بعض جمل نصار، الذي قضى حياته مع الحروف والحبر والورق والتعب واختيار العناوين التي «تستنهض الهمم». كتب في مقالته «تطويب الأراضي»: «غير أن العيب قد ظهر في الأهالي بسبب جهل قيمة الأرض وبسبب ضعف أخلاقهم الوطنية وبسبب الضائقة المالية». ويكتب في مكان آخر: «يستهوي السماسرة البسطاء بتضليلهم وبقولهم لهم الأفضل لكم أن تبيعوا فالبلاد راحت والثمن اليوم أفضل من الثمن في الغد...». «راج سوق بيع الأراضي ...، وإن كانت البيوع في المنطقة الشمالية كبيرة فالباعة معظمهم من أهالي بيروت وزعماء لبنان الكبار الذين يشار إليهم بالبنان، أما في هذه الجهة فمعظمهم من الوجهاء والعلماء وأبناء العائلات والزعماء وأعضاء المؤتمرات والجمعيات،...». ما الذي كان بإمكان الفلاح الفلسطيني المقاتل والفقير والأميّ أن يفعله في مواجهة السماسرة والزعماء والوجهاء والعلماء

وأبناء العائلات...؟ وهل كان نجيب نصار، المثقف الوطني المقيّد بواجب اختاره واصطفاه، قادراً على مواجهة إحباط دفعه إليه الوجهاء والعلماء والزعماء معاً؟ كان نصار هو فلسطين العزلاء المقاومة الذاهبة إلى الغرق، وهو الفلاح الطيب الذي يحاصره الصهاينة والمتزعّمين، وهو المثقف اللبناني الفلسطيني العربي المغترب، الذي يذكر معركة «ذي قار»، ويقرأ مسرحيات شكسبير.

صدرت مأساة نصار عن مأساة فلسطين، التي شدّها «القدر» شداً إلى اختبار رهيب، وصدرت عن معرفته المقاتلة في مجتمع تكتسح الأمية تسعين في المئة من أفراده، آنذاك، كما جاء في كتاب المؤرخ الفلسطيني الراحل عبدالوهاب الكيالي. تجلّت المعرفة «غير المألوفة» في لغة جديدة، تحدث بها نصّار عن «عَتَلة المعرفة»، التي تنقل الأجسام الثقيلة بلا خطأ، و «فردوس المجتهدين»، أي الأرض التي أحسن استثمارها، و «علم المبادئ الوطنية» الذي يبدأ من العقل والاستعمال العقلاني للعقل و «الإنسان العمراني وصيانة المصلحة العمومية والسياسة الاقتصادية الوطنية وضرورة المقارنة وأهمية المهنة واحترام الوقت والإنسان المنتج...». وضعت اللغة الحديثة، الممزوجة بالقلق والغضب الشريف، في مقالاته كلمتين بارزتين: الإنسان المتزعّم، ذلك الزعيم الماسخ الذي زعامته من كذبه البليغ ومن بلاغته الكاذبة وجهل البسطاء، الذي يقايض ردّ المتظاهرين إلى «الحكمة والصمت» بلقاء مع مسؤول إنكليزي على فنجان من الشاي الإنكليزي، و «بلفورات فلسطين» أي «الزعماء الخونة» الذين «سينجزون وعد بلفور بأسرع مما توقع بلفور» .

نجيب نصار من هؤلاء المثقفين الفلسطينيين، الذين وحّدوا بين العروبة والدفاع عن فلسطين ـ طالب الصحفيين العرب عام ١٩١١، بتشكيل جبهة ضد الصهيونية ـ وهو من هؤلاء المثقفين المسيحيين الفلسطينيين، الذين دافعوا عن الحضارة العربية ـ الإسلامية وأخلصوا لتعاليم «محمد والمسيح»، كما كان يقول المسيحي الآخر خليل السكاكيني، الذي حاول وابنه الوحيد «ملامسة النجوم»، والمؤرخ إميل توما وإميل حبيبي، الذي خلط السخرية بالبكاء ورأى في اللغة العربية هوية، وجبرا إبراهيم جبرا، الذي ساوى بين فلسطين والمسيح اعتبر الدفاع عن فلسطين دفاعاً عن السيد المسيح، وسميرة عزام التي هدّتها حزيران عام ١٩٦٧ وتوفيت في الطريق بين بيروت وعمّان، وحالات أخرى جديرة بدراسة عادلة عن دور المسيحيين الفلسطينيين في صياغة الثقافة الوطنية الفلسطينية، وآخر وجوهها الكبيرة إدوارد سعيد، الذي أراد أن يكون «مثقفاً هاوياً» ينقض «المثقف الاحترافي» الذي تفتنه الحرفة ويزهد بالحقيقة.

قال نجيب نصار في لحظة حالمة «الأجيال تمجّد الجريء». ما فات نصار، وهو معذور في شروده الرومانسي، أن للأجيال صفات متغيّرة، وأن جريء قوم غير جريء لدى جماعة مستجدة، وأن «الإنسان العمراني» لا يوجد في كل الأزمنة. ولد «أب فلسطين» في عام ١٨٦٥، وتوفي في يوم مطير وسار خلفه خلق قليل، ولم يلتقِ بالأجيال التي تمجد الجريء، لكنه وجد من يحفظ بعض صفحاته من الضياع، ويعرف تاريخ ميلاده وموته، مثل حنا أبو حنا ووليد خليفي، المقيمين في الناصرة. شكراً لهما. كان الروائي الألماني هنرِيش بول يقول: «يعمل المثقف من أجل حلم لن يراه». أنصف الزمن، بهذا المعنى، نجيب نصار، أو اقترب من أنصافه، وإنْ أجل إنصاف قضية شعبه إلى أجل غير مسمّى

عن الحياة

رحل المعلم والصديق الكبير الدكتور أنيس صايغ

رشاد أبوشاور

التقيت أنا والصديق عبد الله حمودة على الالتقاء بالدكتور أنيس صايغ، صديقنا المشترك، في مكتبه، عند حضوره إلى عمّان التي اعتاد زيارتها لارتباطه بمصاهرة أسرة سلطيّة أردنيّة تنتسب اليها زوجته السيدة هيلدا، الباحثة التي زودت المركز بدراسات وترجمات، وكانت العون والسند للدكتور أنيس الذي ازداد اعتماده عليها بعد أن نجحت محاولة اغتياله الرابعة بإفقاده إحدى عينيه، وعدد من أصابع يديه.

حضر الدكتور ورفيقة عمره إلى عمّان لمشاركة الأصهار بأعياد الميلاد، ولكن أزمة قلبيّة دهمته نقل إثرها إلى مستشفى (فلسطين)، وفارق الحياة ليلة الأحد ٢٦ كانون الأوّل ٢٠٠٩.

سينقل جثمان الدكتور أنيس إلى بيروت ليدفن قريبا من أسرته، والده ووالدته، وأخوته الذي رحلوا قبله.

قبل أيّام أرسلت له الكلمة التي طلبها منّي إسهاما في كتاب يشرف على إصداره بمناسبة رحيل الصديق الكبير الأستاذ شفيق الحوت.

كنت أعرف حرصه، ودقّته، ونفوره من التسويف في المواعيد، لذا عملت على أن تصل الكلمة قبل الموعد بأيّام...

برحيل المعلّم الكبير، المفكّر والباحث والأكاديمي، الذي لم تضعف دوره عملية الاغتيال الصهيونيّة، خسرنا أحد معلمينا الكبار، ولكننا نستلهم حياته هو الذي واصل العمل بدأب، وعناد، وعقل شجاع، مفشلاً هدف تلك العمليّة الإجراميّة، ومبرهنا على شجاعة مثقف ومفكّر كبير كان سلاحه دائما الفكر والكلمة، والذي شكّل خطرا شديدا على عدو يرعبه الفكر المقاوم، فلم يجد بدّا من اللجوء عدّة مرّات لاغتياله...

عرفت الدكتور أنيس مؤمنا بفلسطين وبالأمة وحتمية وحدتها ونهوضها، كاتبا ثاقب النظر، محرّضا على الثبات على المواقف، متصديا لخطاب أوسلو، ولنهج التسوية منذ بدأه السادات، مجابها لحالة الانهيار الفلسطينيّة والعربيّة الرسميّة.

تتلمذ على يديه عشرات الباحثين في مركز الأبحاث، ومجلّة شؤون فلسطينيّة، ومجلّة شؤون عربيّة، وفي الجامعة اللبنانيّة، ومركز البحوث والدراسات العربيّة في القاهرة...

قبل وصوله إلى عمّان بيوم واحد، كنّا الصديق عبد الله حمودة وأنا نتداول فكرة الإعداد لتكريم ثلاثة من رموز فلسطين: الدكتور أنيس صايغ، الأستاذ بهجت أبو غربيّة (شيخ المناضلين في الضفتين)، الأستاذ المناضل والكاتب هاني الهندي أحد اقطاب حركة القوميين العرب...

الموت كما يفعل عادةً، غافلنا وفاجأنا باختطاف هذا الإنسان الفذ، المعلّم أنيس صايغ، أحد حُرّاس فلسطين القضيّة العربيّة المقدسة، كما كان يصفها دائما، هو الحريص على عروبتها لحمايتها من معسكر الأعداء ...

ترك المفكّر الشديد الكبرياء، والاحترام للنفس، المتواضع، المتقشّف و(الصوفي) في حياته، الثاقب النظر، منجزا فكريّا مهما ستحتاجه أجيال المناضلين لتحرير فلسطين، ليسترشدوا به، والباحثين والمفكرين الذين سينهلون منه...

كتب عن لبنان الطائفي، وعن القضيّة الفلسطينيّة، ودرس شخصية القائد جمال عبد الناصر _ هو الناصري الوفي ـ في كتابه (مفهوم الزعامة السياسيّة). درس ميزان القوى العسكريّة بين الدول العربيّة و(إسرائيل)، وكتب (في المقاومة). وعمل على التعريف بالقضيّة الفلسطينيّة في كتابه (الجهل بالقضيّة الفلسطينيّة). ولأنه خبر الإرهاب الصهيوني، وفي وقت مبكّر، كتب (ملف الإرهاب الصهيوني).. وفي حقبة اوسلو أصدر كتابه المهّم الذي حاجج طروحات جماعة أوسلو:١٣ أيلول١٩٩٤ . ومن بعد أصدر (الوصايا العشر للصهيونيّة).

من حسن الحظ أنه أنجز مذكراته المدهشة، التي صدرت في العام ٢٠٠٦ .

رحيل المعلّم الدكتور أنيس صايغ خسارة فادحة لشعبنا الفلسطيني، وأمتنا العربيّة، وللفكر والثقافة العربيّة...

ولكن، ومع هول الخسارة، فقد أبقى لنا الدكتور أنيس ـ أقصد من يؤمنون بعروبة فلسطين، ومن سيتابعون المشوار جيلاً بعد جيل ـ زادا فكريا سيلهمنا، وسيرة حياتيّة مجيدة، ستبقى نبراسا للشرفاء والصادقين والأوفياء المخلصين لفلسطين، والأمة العربيّة...[1]

عن القدس العربي

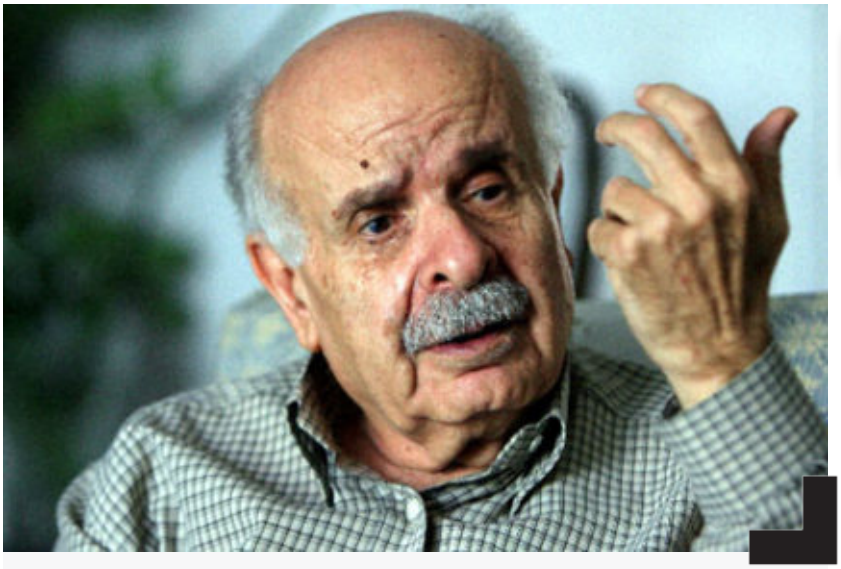

أنيس صايغ: سيرة وأعمال

ولد أنيس صايغ في ١١/٣/ من عام ١٩٣١ في طبريا، بدأ دراسته بمدينته وأنهى الثانوية سنة ١٩٤٩ في مدرسة الفنون الإنجيلية في صيدا، التي انتقل إليها بعد الاحتلال الصهيوني لمدينة طبريا.

نال شهادة البكالوريوس في العلوم السياسية والتاريخ سنة ١٩٥٣ من الجامعة الأمريكية في بيروت، اشرف على تحرير الزاوية الثقافية والتاريخية في جريدة النهار، عمل مستشاراً للمنظمة العالمية لحرية الثقافة.

حصل على الدكتوراه من جامعة كامبردج في العلوم السياسية والتاريخ العربي، وعين في جامعة كامبردج أستاذا في دائرة الأبحاث الشرقية، فمديراً لإدارة القاموس الانكليزي العربي.

عين مديراً عاماً لمركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت، فرئيساً لقسم الدراسات الفلسطينية في القاهرة.

حقق انجازات مهمة وكبيرة كإنشاء مكتبة ضخمة، وإصدار اليوميات الفلسطينية ومجلة شؤون فلسطينية، نشرة رصد إذاعة إسرائيل، إنشاء أرشيف كامل يحتوي على كافة الأمور التي تعني الباحثين.

عمل عميداً لمعهد البحوث والدراسات العربية التابعة للجامعة العربية.

اشرف على إصدار مجلة المستقبل العربي وقضايا عربية، كما عمل مستشاراً لجريدة القبس الكويتية، فأنشأ لها مركزاً للمعلومات والتوثيق.

وهو صاحب فكرة وضع الموسوعة الفلسطينية.

عين عام ١٩٨٠ في جامعة الدول العربية مستشارا للامين العام، ورئيسا لوحدة مجلات الجامعة.

تابع بدأب من خلال الدراسات الموثقة أكاديمياً قضايا العدو، إلى جانب المؤلفات التي تتناول موضوعات القضية الفلسطينية، فكان أن حاولت <إسرائيل> اغتياله اكثر من مرة، وأبرزها كانت الرسالة المفخخة التي بترت اصابع يده وأثّرت في نظره وسمعه. كما استهدف مركز الابحاث، بعدة اعتداءات ارهابية ، كان آخرها سرقة أرشيف ومكتبة المركز في بيروت عام ١٩٨٢.

الجوائز:

وسام الاستحقاق السوري بمناسبة صدور مذكراته: أنيس صايغ عن أنيس صايغ، ٢٠٠٦.

درع معرض المعارف للكتاب العربي والدولي، في بيروت ، تقديراً لعطائه الفكري والثقافي ، والتزامه بالقضايا الوطنيّة والقوميّة . وما رفد به ثقافة المقاومة.

سيف فلسطين رمزاً للصمود، من الاتحاد العام للكتاب الفلسطينيين في دمشق ٢٠٠٦..

المؤلفات:

لبنان الطائفي، بيروت ١٩٥٥. دار الصراع الفكري، بيروت، ١٩٥٧.

الأسطول الحربي الأموي في المتوسط، بيروت، ١٩٥٦

جدار العار، بيروت، ١٩٥٧.

سوريا في الأدب المصري القديم، بيروت، ١٩٥٨.

الفكرة العربية في مصر، بيروت، ١٩٥٩.

تطور المفهوم القومي عند العرب، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦١.

في مفهوم الزعامة السياسية: من فيصل الأول الى جمال عبد الناصر،المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٥.

الهاشميون والثورة العربية الكبرى، دار الطليعة، بيروت ١٩٦٦.

الهاشميون وقضية فلسطين، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٦٦.

فلسطين والقومية العربية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٦٧.

بلدانية فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٦٧.

المستعمرات الإسرائيلية منذ ٦٧، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٩.

ميزان القوى العسكري بين العرب واسرائيل، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت ١٩٦٩.

الجهل بالقضية الفلسطينية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠.

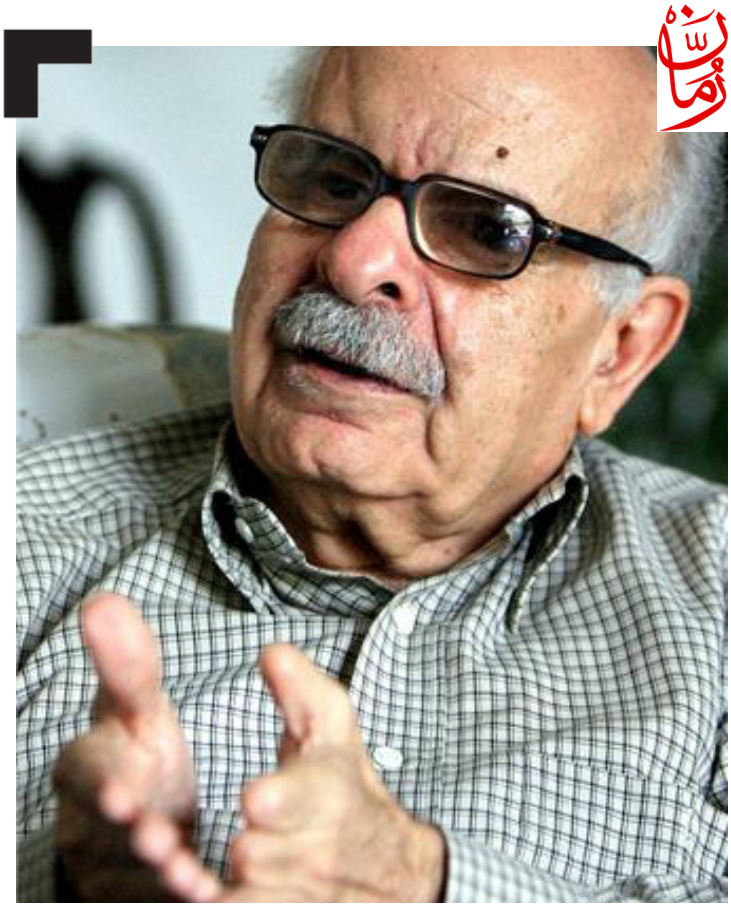

الصخرة والينبوع

صقر ابو فخر

م ن تلال «أم قيس»، عند مثلث الحدود السورية ـ الاردنية ـ الفلسطينية، كان يحلو له ان يتأمل مياه طبرية بحرقة وشجن، ولو حدّق قليلا لرأى مدينته التي ولد فيها وعاش في أفيائها سبعة عشر عاماً. غير انه، في هذه المرة، لم يذهب الى «أم قيس»، فقد وهن قلبه واتعبته آلام العمر، فأناخ راحلته في مدينة عمان ومضى.

هكذا تطوي الأيام احلامنا، و«تفرفط»، مثل زهر الأقحوان، أوراقنا، وتغمر بصمتها العجيب أجساد الأحبة. فيا للحسرة، خلال سنين معدودة ومنحوسة تناثر جيل مدهش كما تتناثر حبيبات الطلع في كل مكان، وها نحن ما زلنا نودع الواحد من هذا الجيل تلو الآخر.

رحل إحسان عباس في سنة ٢٠٠٣، ثم كرّ خيط الموت: هشام شرابي، نقولا زيادة، محمود درويش، رفعت النمر، شفيق الحوت، محمد يوسف نجم، يوسف صايغ، ومعهم سمير قصير وجوزف سماحة وكمال ناجي وآخرون. وبغيابهم أزدادت الايام وحشة وسواداً، وباتت كالحة مثل سديم الصحارى.

كان أبي

حينما سلمته مقالتين ارسلهما معي من دمشق الدكتور ماهر الشريف والدكتور جورج جبور، فرح كالأطفال، فقد كان يعد كتاباً جميلاً سيهديه الى اسم شفيق الحوت. وفي اثناء ذلك اخبرني ان فحوصه الطبية ليست جيدة البتة، وعليه ان يدخل الى المستشفى بسرعة، لكنه سيؤجل العلاج الى اجازة الميلاد ورأس السنة التي سيمضيها في عمان. وفي يوم سفره هاتفني، وكان صوته مبحوحاً جراء نزلة صدرية اتعبت قلبه، وقال لي: «أنا مسافر الى عمان، وحينما اعود ارجو ان تكون بين يدي مقالات محمود سويد ونصري الصايغ ومحمود محارب ومقالتك أنت، فقد تأخرتم في تسليم ما تعهدتم به»... لقد ظلت اصابعه تعبث بالأقلام والأحبار والمقالات حتى آخر يوم من حياته.

الثانية عشرة والنصف، ليلة الميلاد، جاءتني مكالمة من عمان. كان على الطرف الثاني رامي شعبان، فاعتقدت ان الدكتور أنيس يرغب في أمر ما. لكن رامي اجهش في البكاء، ولم يستطع ان ينقل إليّ الخبر الدامع بوضوح، ثم دفع بالهاتف الى رفيقة عمر أنيس صايغ السيدة هيلدا شعبان التي تمكنت من ان تخبرني برحيل الرجل الذي صار أبي منذ ان تعرفت إليه قبل ثلاثين سنة... وكان بكاء هنا وبكاء هناك وفي امكنة كثيرة بالطبع. فأنيس صايغ واحد من الكبار اللامعين، بل من القلة القليلة التي انعقدت محبتنا له، ومن النادرين الذين خلقنا حوله في «الموسوعة الفلسطينية» وفي «اللقاء الثقافي الفلسطيني»، وكان إمامنا في الاخلاق والتواضع والتفاني والالتزام والجرأة والحنو والترفع عن المماحكات اليومية التي أتقنها، أيما اتقان، الفلسطينيون واللبنانيون معاً.

رافقت أنيس صايغ قليلا في مجلة «شؤون عربية»، ويوميا في «الموسوعة الفلسطينية»، ولم أنفك عن صحبته طوال الحقبة التي اعقبت ظهور الموسوعة وانتشارها بين الملأ وحتى آخر يوم له في بيروت. وربما كنت من اكثر الناس معرفة به في آخر ربع قرن من عمره. ومن المؤكد ان رحيله كان فاجعة لي بكل ما تعنيه كلمة فاجعة من معنى. ولهذا السبب لن اجتاوز الحقيقة اذا قلت ان أنيس صايغ، وهو الذي ذاق المرارات كلها، كان مراً في سخريته مثل قهوة والده الحورانية (قهوة القسيس)، وقد علّمنا فن السخرية، وكان منعشا للأحلام القومية مثل «ليموناضة» والدته البترونية، وهو الذي انعش أيامنا في بيروت بعد سنة ١٩٨٢.

واجه أنيس صايغ مآسيه كلها بنبل وفروسية: خروجه من فلسطين ثم موت والدته ورحيل شقيقه منير، ثم موت اشقائه وتعرضه للاغتيال، فموت والده... وهكذا. وفوق ذلك كان في منظمة التحرير الفلسطينية كالمركب الذي يعاند أمواج المحيط: صلبا في مواقفه النقدية مثل صخور الوعر، ونقيا في مبادئه مثل مياه الينابيع. لقد شهد موت الجميع، ولعل شقيقته ماري هي الأكثر صبرا على الألم بعدما لم يبق لها من عائلة القسيس عبد الله أحد.

سيرة بنيامين الطبري

أسمته المبشرة الاميركية ماري فورد، وهي جارتهم في طبرية، بنيامين حينما ولد في ١٩٣١/١١/٣، لانه السابع بين ابناء القسيس عبد الله صايغ، تماما مثل بنيامين آخر ابناء النبي يعقوب. لكنه لم يحمل هذا الاسم إلا ثلاثة ايام، فوالدته رفضت الاسم بشدة، واصرّت على ان يكون له اسم عربي مثل اسماء اخوته. وهكذا صار اسمه أنيساً. وكان مرصودا منذ البدايات لمؤانسة شيخوخة والديه. لكن والدته لم تعش طويلا لتأتنس بأبنائها، وخصوصا بابنها الاصغر أنيس فتوفيت في سنة ١٩٥٠ لتترك في ولدها وشماً من الألم لم يمح منذ ذلك الزمن.

في سنة ٢٠٠٤، حينما كنا نرافق جنازة يوسف صايغ الى مثواه الاخير، لاحظت ان الدكتور أنيس وقف عند بوابة المدفن ولم يتقدم الى الداخل إلا بضع خطوات فقط. وقد اكتشفت انه ما عاد يدخل الى ذلك المكان منذ ان غيّب المدفن نعش والدته قبل نحو ستين سنة. وما زالت تلك الذكرى القاهرة ماثلة بقوة في ارتعاشة يده حينما كان يدّون مذكراته فيقول: «انه يوم اسود في حياتي، بل هو أسوأ يوم في حياتي، وسأذكره بوقائعه ولحظاته ما حييت. ففيه جابهت ملاك الموت لاول مرة، فكيف الحال اذا كان هذا الملاك قد خطف اقرب الناس واحبهم إليّ».

إن سيرة أنيس صايغ هي سيرة الألم الذي حاق بوالده واضناه، فوالده فقد أباه صغيراً، ثم هجر سورية الى فلسطين قسراً في سنة ١٩٢٥، ثم واجه موت زوجته بتجلد وثبات في

رجال الساسة الإسرائيليون، بيروت ١٩٧٠.
أيلول الخطأ والصواب ذكريات العام ٢٠٠٠ ، دار بيسان ، بيروت، ١٩٩٤.>
المثقف العربي .. همومه وعطاؤه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥
قسطنطين زريق : ٦٥ عاما من العطاء (تحرير) دار بيسان ، بيروت، ١٩٩٦.>
الوصايا العشر للحركة الصهيونية، مركز الإسراء للدراسات، بيروت، ١٩٩٨.
أنيس صايغ عن أنيس صايغ، رياض الريس للكتب والنشر> في بيروت،٢٠٠٦
نصف قرن من الأوهام
ترجمة:
فن الصحافة، بيروت ١٩٥٨.
قمح الشتاء، بيروت ١٩٥٨.
مقالات في القضية الفلسطينية، بيروت ١٩٥٦.
المؤسسات والنظم الأمريكية، بيروت ١٩٦٤.
مشاركة في تحرير: [1]
الموسوعة العربية الميسرة، مؤسسة فرانكلين، القاهرة ١٩٦٥
قاموس الكتاب المقدس، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧
دراسات فلسطينية، (بالألمانية)، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧
يوميات هرتزل، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٧
من الفكر الصهيوني، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٨
فلسطينيات ج١،ج٢، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، سنة ١٩٦٨-١٩٦٩
لفكرة الصهيونية- النصوص الأساسية، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠
العمليات الفدائية خارج فلسطين المحتلة، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٧٠.
رئاسة تحرير:
مجلة العلية، بيروت، ١٩٥٦-١٩٥٩.
سلسلة اليوميات الفلسطينية، من المجلد ٢- ١١، مركز الأبحاث الفلسطيني، بيروت، ١٩٦٦-١٩٧٠.

عن القدس العربي

سنة ١٩٥٠، ثم صبر على موت ابنه فؤاد في سنة ١٩٥٩، وابنه توفيق في سنة ١٩٧١، الى ان أراح ركبه في سنة ١٩٧٤. ومع ان أنيس صايغ تعرض للموت مباشرة حينما أرادت إسرائيل اغتياله بطرد ناسف في سنة ١٩٧٢ إلا ان لغز الموت وحيرة الوجود لم يبرحا خياله. وقد تعلم من موسى المجادي (ابو دخل الله)، وهو رجل مؤمن من بلدة خربا، ان الموت الرحيم ربما كان حلاً عادلاً لبعض بني البشر. لكنه رفض عدالة الموت، وطالما تساءل: كيف يكون الموت عادلاً وهو يأخذ منا الأحبة؟ فقد بكى بغضب حينما عرف ان أبو دخل الله اطلق النار على حصانه المريض. ولعل تجربته في الطفولة حيال موت الحصان، وتجربته في الكهولة حيال الاغتيال، جعلتاه شجاعا امام الموت، جباناً امام الألم، فهو لا يخشى الموت لكنه كان يخاف إبرة الطبيب.

من حوران إلى فلسطين

قبيل الميلاد غادر لبنان الى دمشق بهويته اللبنانية. وغادر الشام الى الاردن بجواز سفره السوري. ثم عاد الى لبنان ليحمله الفلسطينيون الى مثواه الأخير. انه، إذاً، سوري ولد في فلسطين واستوطن لبنان وتزوج اردنية. لقد كان المثال الحقيقي المعادي للسيدين مارك سايكس وجورج بيكو.

إن تاريخ عائلته هو تاريخ الهجرات الداخلية في بلاد الشام. فمؤسس الأسرة، يوسف الكبير، اصل والده من حمص، وقد استقر به المقام في السويداء، وعمل في الصياغة وامتلك أراضي ومنزلاً ومجوهرات أورثها ابنه الوحيد عبد الله. لكن عبد الله (القسيس) خسرها كلها حينما أرغم على النزوح الى فلسطين في اثناء الثورة السورية، ولم يلبث ان هجر فلسطين الى لبنان في سنة ١٩٤٨. لذلك لم يكن غريباً ان يلتحق هو وبعض اخوته (فايز ويوسف) بالحزب السوري القومي الاجتماعي، ثم تحولوا الى العروبة بعد صعود جمال عبد الناصر عقب تأميم قناة السويس في سنة ١٩٥٦.

أنيس صايغ ابن القسيس الذي لم يذهب الى الكنيسة منذ سنة ١٩٥٥، وكان في طفولته يعد الى المئة بدلا من قراءة «أبانا والسلام». وقد اكتشف شقيقه فايز ان أنيس يكرر كلمة «بطاطا» مئة مرة في اثناء الصلاة، وكان يفضل بيضة مقلية وصحن بطاطا على المدرسة. إن هذه الروح الساخرة والمحببة ظلت تغمره طوال عمره، وكان بارعاً في السخرية اللطيفة وغير المدببة. ولعل تهذيبه الكبير ورقيه المشهود منعاه من البوح بأسرار كثيرة وردت في مذكراته التي اصدرها في سنة ٢٠٠٦، فأشار إليها من غير ان يذكر الأسماء، لانه كان منصرفا الى رواية الحدث، ولا يعنيه أمر الأشخاص حتى الذين اساؤوا إليه.

في احدى جلساتنا المنفردة باح لي بما اخفاه في مذكراته. ويحق لي الآن، ان ازهو بأنني صرت اعرف من هما اللذان طلبا من أنيس ان يكتب لكل منهما رسالة جامعية، واحدة للماجستير في التاريخ، والثانية للدكتوراه في الاقتصاد، وهذان صار احدهما استاذاً للعربية في احدى الجامعات الاميركية، والثاني احتل منصبا كبيرا في البنك المركزي اللبناني. وصرت اعرف كذلك من هو الفلسطيني الذي سطا على كتاب أنيس صايغ «الهاشميون والثورة العربية» وقدمه في احدى الاذاعات في خمسين حلقة وكأنه من تأليفه. ومن هو الصحافي اللبناني الذي سرق مخطوطة كتاب فايز صايغ عن الدبلوماسية الصهيونية ونشرها في «النهار» على حلقات باسمه. ومن هو الكاتب المصري الذي كان ينشر مقالات يهاجم فيها مجلة «حوار». وكان في الوقت نفسه ينشر في «حوار» مقالات في الدفاع عنها بتوقيع زوجته. ومن هو الذي أراد الاعتداء على منح الصلح بالعصا. ومن هما الباحثان اللذان اختلفا في ليبيا على لون زجاجة البيرة في لبنان. ومن هو المسؤول في مطار بيروت الذي رفض شحن مجلة «شؤون عربية» من المطار لكنه قبل رشوة لتسهيل ذلك. ومن هو الباحث الذي نشر في الشهر نفسه بحثين منفصلين بتوقيعين مختلفين رأى في احدهما انه لولا مساندة الجيش العراقي لسورية في حرب ١٩٧٣ لكانت دمشق سقطت، ورأى في ثانيهما ان دخول القوات العراقية الى سورية لم يكن له فائدة تذكر.

]]]

رحل أنيس صايغ ليلة الميلاد، قريباً من فلسطين وبعيداً منها في آن. كانت اكثر الكتب تفضيلاً لديه هي كتب الرحلات وكتب السيرة. وها هو قد كتب سيرته ورحل. وكان عليه ان ينهي جمع فصول الكتاب الذي سيهديه الى صديقه شفيق الحوت، مثلما فعل حينما اصدر مع الدكتور محمد المجذوب كتابا عن قسطنطين زريق على نفقتهما الخاصة. ومن المؤكد ان هذا الكتاب سيصدر، وسنتنكب، نحن أصدقاءه، هذه المهمة عنه، وسيبقى أنيس صايغ امام أعيننا الأب والصديق والأستاذ الذي تعلمنا على يديه في «الموسوعة الفلسطينية» البحث العلمي، وهو الذي دفعنا كي نتعلم على قسطنطين زريق وإحسان عباس ونقولا زيادة التفكير النقدي والفهرسة وقراءة التواريخ، وفوق ذلك كله ـ وهو الأهم ـ التواضع والأنس والدماثة [1] والعيش المترع بالجمال والأمل (بقدر ما تتيحه الاحوال)، وهي عناصر اجتمعت لهؤلاء الذين ذكرناهم وغابوا عن أعيننا، لكنهم بتألقهم العلمي وتواضعهم الأدبي ما زالوا في صدورنا وفي عقولنا كأروع الامثلة الإنسانية في هذه البيداء العربية المترامية

عن السفير

romman.saleem@gmail.com

عزارة

علاء حليحل

رغم سنواتي العشر، إلا أنني كنت قادرًا على استيعاب أنّ أمرًا جللاً وقع. كانت والدتي تغلق باب غرفة نومنا في كلّ مرة يُفتح، كي لا نسمع ما يدور من همس مضطرب في الصالة. لم تكن «جلسات» كهذه تتم في المنزل إلا في الأمور الجِسام، ولم يكن باب غرفة الأطفال يُغلق أثناء قعدات القهوة والبابوخ، بل على العكس: كان دائمًا مفتوحًا على الصالة، وكانت نساء الحيّ والعائلة يتناوبنَ على تقبيلنا في كلّ مرة ندخل ونخرج، والجملة نفسها لا تنفكّ تتردّد:

«الله يحميهن.»

يبدو أنّ أختي كانت تفهم أكثر مني، بسنواتها الإثنتي عشرة، وربما بحدسها الأنثويّ الذي بدأ يتفتح على واقع الحياة من حولنا. فكانت تنصت باهتمام عبر شقّ الباب وكان الخوف يسيطر على قسمات وجهها في كل مرة يعلو اللغط، فتهرع إلى عمق الغرفة وتجلس إلى المكتبة الصغيرة وتنهرني بحدّة:

«سوّيت وظايفك؟»

كان الهمس من حولنا يحمل من مرة إلى أخرى كلماتٍ مثل «عزارة» و«بهدلة»، إلا أنّ اللغط كان يزداد عندما يُسأل السّؤال نفسه، من مرة إلى أخرى، وبحدّة مُريبة كانت تبعث الخوف في طفولتي القلقة:

«يعني هيي لازم تحكي؟ الله يفضحها!»

كانت «العزارة» في الحارة قد انتشرت، وحتى حين لم أفهم في صدّ تسديدة الكرة صوب «مرماي» في ملعب الحارة، لم يوبّخني أحد من «الكبار» ولم يطلبوا عزلي عن مهمة حراسة المرمى كما كانوا يفعلون دائمًا. كان الانتباه مشدودًا إلى «العزارة»، وكانت الأحاديث تغلب على اللعب، حتى إنّ «رئيس الشلة» تنازل في النهاية عن لعبة «الجول» اليومية، ليجلس إلى «الكبار» وليتحدّثوا عمّا حدث، ليس قبل أن يشعل سيجارة وينفخ دخانها بسنواته الست عشرة. ونحن «الصغار» نتحلق من حولهم، مُصرّين على سرقة ما أمكن من المعلومات والتفاصيل عن هذه «العزارة»، وكيف تبدو وما معناها.

وعندما انذهل معظم المحيطين بي من جملة «كبيرنا» الحذرة: «كان يحط إيدو...»، لم أتورّع عن الاندهاش مثلهم، مع أنني لم أفهم ما تعني هذه الجملة. ثم صرخ الجميع مرة واحدة: «لا؟؟»، حين قال كبير الشلة وهو ينفث دخان سيجارته:

«تحت الكلسون!»

تأخر أبي

تلك الليلة في العودة إلى البيت، وكانت أمي تنتظره عند «البرَندة» المُطلة على القرية، وتدخن بقلق، بينما كانت أختي تتمتم بهمس هي وابنة عمي التي اختارت أن تبيت عندنا الليلة، حيث شكّل هذا المبيت لديّ علامة أخرى على هول المصاب؛ إذ أنّنا كنا نبيت عندهم ويبيتون عندنا عندما يتوفى شخص في العائلة.

هل مات أحد؟ ولكن أين بقية أبناء وبنات عمي؟ ولماذا التمتمة تحت اللحاف؟ وأين أبي؟

عندما سمعتُ صوت الشاحنة ارتخيتُ قليلا. بعد أقلّ من دقيقة كانت دعسات أبي المألوفة وهو يصعد الدرج تتضح أكثر وأكثر، ثم سمعت أمي تعود من المطبخ مصحوبة برائحة القهوة العربية الدافئة. صمتت أختي وابنة عمي وصرنا ثلاثتنا، من دون تنسيق، نحبس أنفاسنا ونحاول التقاط أية كلمة تأتي من «البرندة»- بلا نجاح يُذكر.

لا أعرف كيف انقلبت الآية، ولكن الحركة دبّت في العائلة اليوم التالي، وبدأت أشمّ رائحة «شعط» الدجاج والأرز المطبوخ ورائحة «الفقعية» والكبة، وفجأة كان عدد كبير من أطفال العائلة يتجمّع في بيت كبير العائلة، ومن حولنا رجال كُثر ونساء كثيرات. أنساني الطعام واللمة الهائلة لجميع أنواع مسدسات «الطقيع» و«الفشك» والبوارد، أيّ تفكير بأيّ أمر شغلني بشأن «العزارة»، وطفقتُ أركض مع الراكضين وألعب مع اللاعبين وأموت مع المطخوخين.

حين وقف كبير العائلة بدأت جميع النساء تنهرنا بعنف وخوف غير مسبوقيْن، حتى إنّ خالتي العصبية ضربت ابن خالي على خده كي يصمت، فتنبّهنا إلى جدية الموقف، فأنصتنا رغمًا عنا. تحدث كبير العائلة عن أمور لم أفهمها، ولكنني استطعتُ أن أفهم «عيلة وحدة» و«بسيطة». كان جميع الرجال يهزّون رؤوسهم موافقين، وعندما انتهى كبير العائلة من خطبته تقدّم نحو أحد الرجال كنتُ أناديه وقتها «عمي»، كما كنت أنادي جميع الرجال البالغين، واحتضنه وقبّله. ومن بعده توالى جميع الرجال على احتضانه وتقبيله، وفجأة انطلقت زغرودة حامية ومن بعدها «إيويها» مجلجة، مضطربة بعض الشيء.

حلّ صمت مهيب حين تقدمتُ إحدى نساء العائلة وهي جرّ فتاة خلتُها في عمري أو أكبر قليلا، ووقفتُ أمام «العمّ» المحتفى به وطلبتُ منها بحزم، والاثنتان تبكيان بخوفٍ:

«بوسي عمّك!»

في الليل، وأمي تغطيني، سألتُها أختي:

«يعني خلص؟»

تطلعتُ إليها أمي وقالت بحزم:

«تروح تتخيّب! شو هيّي أول وحده؟ بدّا تخرب العيلة؟ إوعك بحياتك تجيبي هاي السيرة أو تفتحي هيك موضوع! فاهمة؟»

تمتمتْ أختي بكلمات قدّرتُ أنها خضوع تام لمطلب أمي.

أطفأتْ أمي النور في الغرفة، ثم نظرتْ إلينا بحبّ هائل، وقالتْ بهدوء وهي تدمع:

«الله يحميكُن.»